



دراسة نقدية لكتاب الإنجيل في القرآن



# دراسة نقدية لكتاب الإنجيل في القرآن

## للقس يوسف الحدّاد

تأليف  
عبدالرحيم سعد داود

اسم الكتاب: دراسة نقدية لكتاب الإنجيل في القرآن للقس يوسف الحدّاد

المؤلف: عبدالرحيم سعد داود

الموضوع: الكلام والتفسير

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

المطبعة: ليلى

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٨ هـ

ISBN: 978-964-529-315-2

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)

E-mail: [info@ahl-ul-bayt.org](mailto:info@ahl-ul-bayt.org)





## كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنه مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام)وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً؛ لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.



ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الأستاذ عبدالرحيم سعد داود لتأليفه هذا الكتاب،  
ولكلّ الإخوة الذين ساهموا في إخراجهِ.  
وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا  
تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّهُ  
وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

المعاونية الثقافية

## المقدمة

كان أول اطلاعي على مؤلفات الحدّاد، هو على كتابه - ذي العنوان الأكثر إثارة من بينها - (القرآن دعوة نصرانيّة)، الذي لا يرى فيه الإسلام وكتابه القرآن سوى فرع انشطر من أصله النصرانيّ، على الرغم من التنديد الصريح الوارد في بعض آيات القرآن بالنّصارى وعقائدهم، وهذه من ثوابت الحدّاد التي يدور في فلكها، فيما ألفه حول القرآن والإسلام ونبيّه الصادق الأمين.

وهنا لا بد من الإشارة لبعض المسائل التي توضّح الكتاب في خطوطه العامّة، وهي:

### أولاً: بيان عام لموضوع البحث

تحفل كتب الحدّاد في مجال الدراسات القرآنيّة وغيرها بالكثير من الإثارات والإشكالات ، وعندما تصفحت بعض كتبه وقع اختياري على كتاب (الإنجيل في القرآن)، وهو الأوّل من سلسلته، دروس قرآنية، ويقع في (٢٢٢) صفحة، ليكون مادة لبحث عنوانه (دراسة نقدية لكتاب الإنجيل في القرآن)، ويتضمن دراسة نقدية لمنهج المؤلف، بالإضافة إلى عدد من المسائل الخلافية بين المسلمين والنّصارى، في الألوهيّة والبنوّة لله، والوحي والتّليث والخطيئة، وشخصيّة السيّد المسيح (عليه السلام).

### تعريف بالمؤلف<sup>(١)</sup>

الأب يوسف درّة الحدّاد - ويعرف بالأستاذ الحدّاد - من أصل لبناني، ولد سنة ١٩١٣ م، في بيروت<sup>(٢)</sup> (القلمون) وهي إحدى قرى مدينة القدس، درس وتثقف منذ نشأته الأولى على علوم الدين المسيحي، نتيجة للارتباط الديني والمذهبي، فتخرّج

(١) اعتمدنا في هذا التعريف على ما ورد في مقدمة كتابه، وآخره بقلم الأب جورج البولسيّ، وما ذكره السيّد محمّد عليّ أبطحي في مقالة منشورة في مجلة بّيّنات (بالفارسيّة) بعنوان (قرآن پژوهشي در مسيحيت)، ٩٤، السنة الثالثة / ١٢٢ - ١٢٣، ١٣٧٥ هـ. ش - ١٤١٧ هـ. ق، ولم نعثر على ترجمة له في كتب التراجم والأعلام، ولا في شبكة الاتصالات الإلكترونيّة، وحتى من نقد بعض كتبه لم يترجم له.

(٢) انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان، ج ٥، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م / ٤٢٧، وهناك بيروت، بلدة بين حمص وبلبك.

من إكلييريكية<sup>(٣)</sup> القديسة حنة (الصلاحية)، وبعد تخرّجه من هذه الكلية التبشيرية في سنة ١٩٣٩ م، حصل على درجة الكهانة.

ذهب في هذا العام ليمارس عمله الكنسي والتبشيري في أبريشيتي حمص السورية، وبعلمك اللبنانية، واستمر على ذلك مدّة خمس سنوات، ثم انقطع ليتفرّغ للبحث والكتابة، في حقل استهواه منذ أيام التلمذة، حقل الشؤون القرآنية على وجه عام، والمعضلات الإسلامية المسيحية، والدراسات الإنجيلية والكتابية على وجه خاص.

ويذكر في مقدمة كتابه أنّ دروسه القرآنية قد كتبها استجابة لدعوة شيخ الأزهر آنذاك فضيلة الأستاذ مصطفى المراغي، ولرئيس مجلس الشيوخ المصري السابق الدكتور حسين هيكل لما ذكره في مقدمة كتابه (حياة محمد) من أنّ رجال الشرق خليقون بالقيام بالبحوث النزيهة حول الإسلام ورسوله.

والظاهر أنّه لم يتزوّج، إذ لُقّب بـ(الارشمندريت) في تقديم لكتابه (تاريخ المسيحية) الصادر في عام ١٩٦٨ م، وهو لُقّب شرفي تطلقه بعض الكنائس الشرقية على الكهنة غير المتزوجين، ممن يرأس ديراً، أو مجموعة أديرة، وفي مصر يطلقون عليه (قمص)<sup>(٤)</sup>.

ويظهر من إنتاجه الضخم نسبياً، أنّه قد أكبّ على عمله بجد، وبذل فيه الكثير من الجهد، وتوفي عام ١٩٧٩ م، وترك مجموعة من المؤلفات.

#### بينته

تشكل لبنان الحالية مع سوريا تاريخياً وحدة طبيعياً، ويندرجان تاريخياً مع الأردن وفلسطين تحت عنوان بلاد الشام.

خضع لبنان في القرن الأوّل الميلادي للحكم الروماني، ودخلته المسيحية، وفي عام ٦٣٥ م دخل الإسلام إلى لبنان على يد قبائل عربية استوطنت جنوب لبنان، وفي القرن الحادي عشر بدأ ظهور المذهب الدرزي على يد بعض المسلمين المحليين. وفي عام ١٥١٦ م أصبح لبنان جزءاً من الامبراطورية العثمانية التركية، وتحرر منها بعد الحرب العالمية الأولى، فوقع تحت الانتداب الفرنسي، وفصل عن سوريا عام ١٩٢٠ م.

(٣) وهي دار تعدّ الكهنة للقيام بالخدمة، والإكلييريكية الصغرى مدرسة ثانوية تعدّ للدخول إلى الإكلييريكية الكبرى، انظر: الأب صبحي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، ط ١، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٤ م / ٥٧ - ٥٨.

(٤) انظر: الأب صبحي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي / ٣٠.

أعلن استقلاله عام ١٩٤١ م، وتم استكمال جلاء القوات الفرنسيّة عنه عام ١٩٤٦ م.

وتعود الحرب الطائفية والعشائرية في لبنان إلى قرون مضت، ويضم خليط من الطوائف، المسيحيين الموارنة <sup>(٥)</sup> والمسلمين سنة وشيعة والدروز <sup>(٦)</sup> ويشكل المسلمون ٧٠% من السكان، والمسيحيون ٣٠% منه.

وفي عام ١٩٧٥ م اندلعت الحرب الأهلية بين المسلمين - الذين أيدهم الفلسطينيون اللاجئين في لبنان - وبين المسيحيين المحافظين، وقدّر عدد القتلى بـ (٤٠) ألف إنسان.

في أواخر السبعينات كان لبنان مسرحاً للقتال بين الفلسطينيين والقوات الإسرائيلية، التي قامت بغزو جنوب لبنان.

يمتاز لبنان بالتنوع والانفتاح الثقافي على مختلف الاتجاهات والتيارات، ويعرف بلد المطابع ودور النشر <sup>(٧)</sup>، وهذا التنوع والاحتكاك الثقافي والديني والطائفي ترك بصماته على الأستاذ الحدّاد، فاصطبغ كمّ كبير من إنتاجه الفكري بهذه الصبغة.

#### التعريف بمؤلفاته <sup>(٨)</sup>

ترك الحدّاد مجموعة من المؤلفات، صنفها في ثلاث سلاسل:

الأولى: سلسلة دروس قرآنية، وتشمل:

١ - الإنجيل في القرآن (طبع ثلاث مرات)

٢ - القرآن والكتاب; ويقع في كتابين.

الأول: بيئة القرآن الكتابية. (طبع مرتين)

الثاني: اطوار الدعوة القرآنية. (طبع مرتين)

٣ - نظم القرآن والكتاب; ويقع في كتابين:

(٥) تنسب هذه الطائفة إلى القدّيس مارون، الذي أعلن سنة ٦٦٧ م أنّ المسيح ذو طبيعتين، ولكنّه ذو إرادة واحدة،

ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأي، فاجتمع المجتمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠م، وقرر رفض نحلة مارون، وحرمانه ولعنه وتكفير كل من يذهب مذهبه، انظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية.

(٦) تعد من الفرق الباطنية التي يصعب الاطلاع على عقائدهم، التناسخ مبدء أساسي عندهم، وحمزة بن عليّ من مؤسسي المذهب، وينسب لهم الاعتقاد بالوهمية الحاكم بأمر الله، انظر: المحقق الشيخ جعفر سبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج ٨، ط ١، قم، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤١٨ هـ / ٣٤٣ وما بعدها.

(٧) نشرت المكتبة البولسية في بيروت كافة كتب الحدّاد، وبعضها طبع ثلاث مرّات.

(٨) اعتمدنا في هذه القائمة على ما ذكره الأب جورج فاخوري البولسي في آخر كتاب الحدّاد، وأكثر كتبه المطبوعة متوفرة.

- الأول: إعجاز القرآن. (طبع مرتين)
- الثاني: معجزة القرآن. (طبع مرتين)
- الثانية: سلسلة في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي، وتشمل:
- ١ - مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي
  - ٢ - القرآن دعوة (نصرانية) (طبع ثلاث مرات)
  - ٣ - القرآن والمسيحية (مطبوع وصدر عليه نقد بقلم الأستاذ أحمد عمران)
  - ٤ - أسرار القرآن (مخطوطة)
  - ٥ - المسيح ومحمد في عرف القرآن (مخطوطة)
  - ٦ - سيرة محمد وسره (مخطوطة)
- الثالثة: سلسلة دراسات إنجيلية (مصادر الوحي الانجيلي)
- ١ - الدفاع عن المسيحية (في الأناجيل بحسب متى وبحسب مرقس) <sup>(٩)</sup>.
  - ٢ - تاريخ المسيحية (في الإنجيل بحسب لوقا وفي سفر أعمال الرسل).
  - ٣ - فلسفة المسيحية: وتقع في كتابين:
- الأول: الرسول بولس
- الثاني: رسائل بولس
- ٤ - صوفية المسيحية: في كتابين:
- الأول: في الإنجيل بحسب يوحنا.
- الثاني: في سفر الرؤيا.
- ٥ - المسيح في الإنجيل. (مخطوطة)
  - ٦ - (إنجيل) بولس. (مخطوطة)
  - ٧ - سيرة المسيح وسره. (مخطوطة)
  - ٨ - دروس إنجيلية <sup>(١٠)</sup>. (مخطوطة)
  - ٩ - الدفاع عن المسيحية من تاريخها وتعليمها (مخطوطة)
  - ١٠ - الإنجيل برنابا شهادة زور على القرآن <sup>(١١)</sup> (طبعة ثانية).

(٩) في الطبعة الثانية نشر في كتابين، كذلك الكتاب اللاحق - تاريخ المسيحية - .

(١٠) الظاهر أنه يمثل خمسة كتب، ذكرت في الغلاف الخلفي لكتابه صوفية المسيحية، وهي : إعجاز الإنجيل، إنجيل المسيح قمة الوحي والتنزيل، الوحي الانجيلي (عقيدة وشريعة وصوفية ونظام حياة)، الإنجيل والكتاب، الإنجيل والقرآن، وذكر بان الأول منها (تحت الطبع)، والباقي (في التحضير).

(١١) لم يذكره الأب فاخوري ضمن مؤلفات الحداد، وهو كراس صغير، وقد نقلنا عنه في أحد المواضع.

## تعريف بكتاب المؤلف<sup>(١٢)</sup> موضوع الدراسة:

الكتاب يتألف من ثلاثة اقسام:

القسم الأول: تحت عنوان القرآن والكتاب، ويبحث فيه:

عن نظرية القرآن في الأديان، وينتهي إلى أن القرآن قد أقرّ الأديان السابقة، ثم يبحث في التوحيد القرآني، فينسبه الى الكتاب الذي قبله، ويقول أن حجة محمد هي شهادة أهل الكتاب له، أي هم مرجعيته!، وأن الدعوة الإسلامية كتابية في مصدرها، وفي موضوعها، وفي طريقتها، وفي قصصها، وفي جدلها، ثم حدث انقلاب في الأسلوب بعد الهجرة بسبب السياسة. ثم يقرر بطلان مقولة النسخ بين الشرايع، ويزعم أن لا أساس له في القرآن، ويؤكد على إقراره للشرايع السابقة، وفي مبحث آخر يدعي أن القرآن يشهد بالصحة للكتاب الموجود في زمانه، ويحكم باستحالة تحريف الكتاب، ثم يدرس موقف القرآن من أهل الكتاب، ويكرر القول بأن الدعوة الإسلامية كانت كتابية، ثم تميّزت عنها، وبرزت الآراء المختلفة، وقام الجدل واشتدّ النزاع بين محمد (صلى الله عليه وآله) وبين اليهود، ويقرر بأن القرآن الكريم لا يعتبر أهل الكتاب مشركين أو كافرين أو أعداء دين بل مسلمين موحدين.

أما القسم الثاني فيبحث فيه عن السيّد مريم أمّ المسيح في القرآن:

ويعرض فيه نصوص من سبع سور قرآنية، ويذكر أقوال بعض المفسرين بشأنها، كالبيضاوي<sup>(١٣)</sup> والجلالين<sup>(١٤)</sup> والزمخشري<sup>(١٥)</sup> والرازي<sup>(١٦)</sup>،

(١٢) نرمز له في الدراسة بحرف (أ) .

(١٣) هو القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، ولي قضاء شيراز، اعتمد في تفسيره على الكشف للزمخشري، واستمد من تفسير الرازي، وتفسير الراغب الإصفهاني، وسمى تفسيره: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) أو تفسير البيضاوي، وهو تفسير لطيف جمع فيه بين حسن العبارة وقوة البيان، وله نظرات وآراء دقيقة في حل معضلات الآيات، وضمّنه نكتاً بارعة ولطائف رائعة واستنباطات دقيقة وهو مؤل من ذكر الروايات الإسرائيلية. توفي سنة ٦٨٥، انظر: المحقق الشيخ محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ج ٢ ط ١، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤١٩ ق / ٤٣٠ وما بعدها، باختصار.

(١٤) اشترك في تأليفه جلال الدين المحلي الشافعي، كان علامة عصره، ابتدأ التفسير وتوفي عام ٨٦٤ ق، وجلال الدين السيوطي ص ٩١١ ق الذي أكمله، ويصنف ضمن التفاسير الموجزة، اعتمد فيه على أرجح الأقوال، واعراب ما يحتاج إليه، عن المصدر نفسه/ ٥٢١، باختصار.

ويشير إلى أنّ القرآن لا يحمل على التثليث المسيحي، بل على بدعة مسيحية ظهرت، وأنّ تكفيره يشمل بعض النصارى لا كلّهم، وأنّ علماء المسلمين لا يفقهون معنى التجسد الإلهي!، وبعد عرض النصوص يحللها، ويرى أنّ بعضها صدى لعقيدة النصارى في عصمة مريم من الخطيئة الأصلية.

والقسم الثالث يبحث فيه عن المسيح في القرآن:

ويعرض نصوص من ست عشرة سورة قرآنية، مع أقوال للمفسرين - الذين تقدم ذكرهم - ، ولا يعني أنّه يتبنى تلك الأقوال، ويزعم في مواضع متعددة أنّ بعض النصوص القرآنية مزيدة أو مدسوسة أو مقحمة في السور! ويذكر بعض شبهات اليهود، ويزعم أنّ القرآن لم يجب عنها، ثم يحلل هذه النصوص القرآنية، ويقول إنّ مقولة الشبه أسطورة، كما يزعم أنّ القرآن قد نسب الخطيئة لكلّ الأنبياء، باستثناء عيسى وأمه.

ويقرر بأنّ الألوهية التي ينكرها القرآن على المسيح هي ليست بالتي ينسبها الإنجيل إليه، وأنّ التثليث الذي ينكره القرآن هو غير التثليث المسيحي، والألقاب التي يصف بها القرآن المسيح هي أقرب إلى الخالق منها إلى المخلوق.

ثمّ يبحث عن ألقاب المسيح ويصنفها إلى نبوية وإلهية، والتي تشمل مسيح الله، وكلمة الله، وروح الله.

ثم يزعم أنّ في القرآن تثليث مكوّن من الله، والكلمة، والروح.

#### مصادر الحدّاد في كتابه

بالإضافة إلى كتب التفسير المشار إليها، اعتمد الحدّاد على بعض كتب السيرة، كسيرة ابن هشام، وبعض السير المعاصرة، لحسين هيكال والعقاد، ودراسات تاريخية لفليب حتي، وبرنارد لويس، بالإضافة إلى كتب في الجدل المسيحي الإسلامي،

(١٥) هو العلامة جار الله الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، ولد سنة ٤٦٧ ق، وتوفي سنة ٥٣٨، كان معتزلي الاعتقاد، وبنى تفسيره على ذلك، وهو تفسير قيّم، لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن وبلاغته، ويصنف ضمن التفاسير الأدبية، عن المصدر نفسه / ٤٨، وما بعدها، باختصار.

(١٦) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (المعروف بابن الخطيب)، في ظاهره اشعري شافعي المذهب، مضطّلاً بالأدب والكلام والفلسفة والعرفان، توفي عام ٦٠٦ ق، وتفسيره من جلائل كتب التفسير، أسهب الكلام في المسائل الاجتهادية النظرية والعقلية، وربّما أخرجه عن حد الاعتدال، وكثيراً ما يترك وراءه لمّة من تشكيكات وإبهامات، ويغلب على تفسيره اللون الكلامي الفلسفي، قيل إنه لم يتمّ تفسيره، ويصنف ضمن التفاسير الجامعة، عن المصدر نفسه / ٤٠٦ وما بعدها، باختصار.

لإبراهيم لوقا، وجرجس صفير، ونقولا غبريل، ومحمد حنفاوي، وأبو نصر  
السلابي، وغيرهم<sup>(١٧)</sup>.

ومن المناسب الإشارة إلى أنّ الدراسات النقدية لكتب الحدّاد محدودة جدّاً -  
بحسب إطلاعنا - على الرغم من كثرة ما تثيره من شبهات وإشكاليّات، وإن كان  
أكثرها ليس بجديد، بل هي أصداء وترديد لما حفلت به الجدليّات النصرانيّة  
والاستشراقية حول القرآن والإسلام، ونبية الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله)، على مرّ  
السنين، ولكنها قد تتفاوت من حيث الأسلوب والمنهج، وممن تعرّض لكتب وأفكار  
الحدّاد:

١ - الأستاذ محمد عزة دروزة، في كتابه (القرآن والمبشرون)، وهو رد إجمالي  
على مجموعة كتب الحدّاد (دروس قرآنية) وبضمنها كتاب (الإنجيل في القرآن)  
موضوع دراستنا النقدية.

٢ - الأستاذ أحمد عمران، في كتابه (القرآن والمسيحية في الميزان)، وهو نقد  
لكتاب الحدّاد (القرآن والمسيحية).

٣ - الدكتور الشيخ محمد الصادقي، تعرض في كتابه (عقائدنا) لنتف من أقوال  
الحدّاد، وكذلك المحقق الشيخ محمد هادي معرفة في كتابه (شبهات وردود حول  
القرآن الكريم)، والأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه (المسيح في القرآن والتوراة  
والإنجيل) وغيرهم.

#### ثانياً: أهمية البحث وأهدافه

لا تكمن أهمية هذه الدراسة النقدية في معالجة الشبهات المبتوثة في هذا الكتاب  
فحسب، بل في نقد منهج المؤلف وأسلوبه في البحث، وهذه الأهمية لا تقتصر على  
الكتاب محلّ الدراسة، بل تتعداه لتشمل غيره من كتب الحدّاد لما بينها من تشابه  
ومشتركات في الأسلوب وطريقة البحث.

وهذا النقد للمنهج يستبطن بدوره نقداً لأفكار الكتاب أيضاً، لانه عندما يستحضر  
نماذج المباحث النقدية، فأنه يعالجها باعتبارها إثارة، أو إشكالية أو شبهة طرحها  
الحدّاد في كتابه.

ثم تنتقل الدراسة لتعالج موضوعات أساسية طرحت في الكتاب، وتمّ ذلك بشكل  
منطقي ومستدل.

(١٧) انظر، الحدّاد؛ أ / الصفحات ي، ك، ل، فقد أشار فيها لمصادر دراسته.



ولا يخفى على أحد ما لدراسة المسائل العقائدية ومواجهة الإشكاليات والشبهات التي تثار حولها من أهمية بالغة، فيصنّفها العلماء في سلم الأولويات من ناحية العناية والقيمة والشرف، فهي بمثابة القاعدة والأساس الذي ينطلق منه الإنسان في ميدان العمل والبناء، ومن دون عقيدة سليمة، يكون العمل هباءً منثوراً، قال تعالى:

(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (١٨).

ولا تهدف الرسالة إلى الدخول في مباحثات لفظية عبثية، أو في نزاع جدلي عقيم لا طائل من وراءه، بل تسعى إلى كشف الحقائق التي طمسها الحداد، من خلال تأويله للنصوص القرآنية بشكل متعسف، كي يدعم أصوله العقيدية ومتبنياته الفكرية، وازاحة التشويش والضبابية التي أوجدها، أمام القاريء لكي يتسنى له رؤية الحقائق والأمر كما هي، وبصورة واضحة.

وتهدف الرسالة إلى الدفاع عن المبادئ الإلهية الحقّة - في نظر الباحث - والتي تقوم على الدليل الواضح، والبرهان المحكم، من أجل تدعيم خط الهدى والتوحيد، والتنبيه على تلك العقائد والأصول التي تؤسس على الهوى والميول والتقليد، والذي هو آفة العقائد، وهي وظيفة إيمانية وإنسانية يميلها الوجدان، ويندفع بإزاءها الإنسان من منطلق إحساسه بمسؤولياته، تجاه الأخ الإيماني، والنظير الإنساني.

ولا تدّعي هذه الرسالة أنّها تشكّل منعطفاً في هذا المجال من الدراسات، ولا حسماً لهذا الخلاف والنزاع العقائدي الممتد في الزمان والمكان، والذي سيبقى إلى ما شاء الله تعالى، بيد أنّها مساهمة في التعريف بحقائق الدين الإلهي الحقّ، كي لا نعري به خصومه من الملحدين، الذين يستثمرون هذه الأضاليل والجهالات التي يروج لها البعض باسم الدين، وهي أبعد ما تكون عن روحه التوحيدية الناصعة.

### ثالثاً: البحوث السابقة حول الموضوع

لقد دوّنت الكثير من الكتب والرسائل حول مسائل الخلاف العقائدي بين المسلمين والنصارى، قديماً وحديثاً، بالإضافة إلى ما حوته كتب التفسير في طيّاتها من هذه البحوث، في ظلال الآيات القرآنية ذات العلاقة، ويمكن الإشارة إلى عدد منها فيما يلي (١٩):

(١٨) سورة الفرقان / ٢٣.

(١٩) للإطلاع على المزيد، انظر: القائمة الفهرستية الملحقة بكتاب التوحيد والتثليث، الشيخ محمد جواد البلاغي، ط ٢، قم، دار قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله)، ١٤١١ هـ. ق / ٩٢ - ٢١٥، وهي من إعداده الدار.

أ - من كتب القدماء:

- ١ - حديث الجاثليق (كتاب....) في احتجاجات أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على النّصارى <sup>(٢٠)</sup> للصحابي الجليل أبي عبد الله سلمان المحمدي الفارسي، توفي حدود سنة ٣٤ هـ .
- ٢ - الردّ على النّصارى <sup>(٢١)</sup>، للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ - ٢٥٥ق)، واختار منه عبد الله بن حسان المتوفي سنة ١٣٤٤ هـ.ق، وطبع في المطبعة السلفية بمصر، ضمن كتاب (ثلاث رسائل) للجاحظ.
- ٣ - الاحتجاج لنبوّة النبي (صلى الله عليه وآله) <sup>(٢٢)</sup>، لأبي سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق ابن نوبخت (ق ٣ هـ).
- ٤ - رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي (ق ٤ هـ) <sup>(٢٣)</sup> أرسلها إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي، يدعو به إلى الإسلام، طبعت في لندن سنة ١٨٨٥ م، وفي مصر سنة ١٩١٠ م.
- ٥ - الرد على المثلثة <sup>(٢٤)</sup>، للفضل بن شاذان بن الخليل النيسابوري (ت ٢٦٠ هـ).

ب - ومن كتب المتأخرين:

- ١ - الردّ الجميل على من غير التوراة والإنجيل <sup>(٢٥)</sup> لأبي حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ق).
- ٢ - دامغة النّصارى <sup>(٢٦)</sup>، نقض لكلام ابن الهيثم المسيحي فيما رام إثباته من الثالوث والاتحاد، للكراچي الشيخ أبي الفتح محمد بن عليّ بن عثمان، المتوفي سنة ٤٤٩ق.

٢٠ (الشيخ آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٦، ط ٣، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣ ق - ١٩٨٣ م / ٣٧٦، رقم ٢٣٦٤، وأشار لها المرجع السابق / ١٣٤.

٢١ - انظر القائمة الفهرستية، المرجع السابق / ١٧٨.

٢٢ ذكره: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٥، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩ ق - ١٩٩٩ م / ١٧١، وآقا بزرك الطهراني، الذريعة / ٢٨٢: رقم ١٤٧٤.

٢٣ - انظر القائمة الفهرستية، المرجع السابق / ١٥٥.

٢٤ (المصدر نفسه / ١٤٧، وآقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج ١٠ / ٢٢٢، رقم ٦٤٨.

٢٥ (حاجي خليفة، كشف الظنون / ج ٦ / ٦٤.

٢٦ آقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج ٨ / ٤٣، رقم ٩٩، وفي القائمة الفهرستية / ١٤١.

٣ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة<sup>(٢٧)</sup>، في الردّ على اليهود والنصارى، لشهاب الدين ابن العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، المشهور بالقرافي، المتوفي سنة ٦٨٤ ق.

٤ - الانتصارات الإسلامية في دفع (كشف) شبه النصارانية<sup>(٢٨)</sup>، لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي البغدادي، المتوفي سنة ٧١٠ ق.

٥ - بيان الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح<sup>(٢٩)</sup>، لإبن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الحنبلي المتوفي سنة ٧٢٨ ق.

ج - ومن كتب المعاصرين<sup>(٣٠)</sup>:

١ - الهدى إلى دين المصطفى، ج ١ - ٢، للعلامة محمد جواد البلاغي، المتوفي سنة ١٣٥٢ هـ، وله كتب أخرى في هذا الباب، منها: التوحيد والتثليث، والرحلة المدرسية، والمسيح والأنجيل، وأعاجيب وأكاذيب.... وغيرها.

٢ - عقائدنا للدكتور الشيخ محمد الصادقي، وله أيضاً: مقارنات بين الكتب السماوية.

٣ - المسيح في مصادر العقائد المسيحية، للمهندس أحمد عبد الوهاب، وله أيضاً: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،.... وغيرها.

٤ - القرآن والمسيحية في الميزان، لأحمد عمران، وله أيضاً، العلاقات الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، والحقيقة الصعبة في الميزان.

٥ - النصرانية في الميزان، للمستشار محمد عزّت الطهطاوي، وله أيضاً: الميزان في مقارنة الأديان.

د - من كتب النصارى الذين أدركوا نور الإسلام فاستبصروا وأسلموا:

١ - الإنجيل والصليب، للأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي، مطران مدينتي الموصل وديار بكر في القرن الماضي، محفوظ بدار الكتب المصرية.

٢ - الله واحد أم ثلاث، للأستاذ محمد مجدي مرجان، وله أيضاً: المسيح إنسان أم إله؟

(٢٧) حاجي خليفة، كشف الظنون ج ١ / ٧٤.

(٢٨) حاجي خليفة، المصدر السابق ج ١ / ١٨٨ - ١٨٩.

(٢٩) حاجي خليفة، المصدر السابق ج ١ / ٢٤٧.

(٣٠) هذه الكتب مطبوعة .

٣ - هبة السماء، للأستاذ عليّ الشيخ (خوشابا شمعون حنا)، وله أيضاً: الصحيح من إنجيل المسيح، ولاهوت المسيح في المسيحية والإسلام (رسالة ماجستير في طريقها إلى النشر).

#### رابعاً: منهج البحث في الرسالة

بعد المطالعة المتأنية للكتاب موضوع الدراسة، أشرّ الباحث على الثغرات والشبهات والإشكالات، ثم بالتأمل وجدها يمكن أن تصنّف ضمن جملة من المباحث النقدية. التي يستوعب كلّ منها عدداً من العناوين الفرعية، يقع تحت كلّ واحد منها عدد من النماذج، تعبّر عن إشكالية أو شبهة عالجه الباحث، بذكر الأدلة والشواهد المناسبة.

وإن كان بعض النماذج يمكن تصنيفها تحت أكثر من مبحث، لكنّها ألحقت بالعنوان الأقرب انطباقاً عليها.

هذه المباحث النقدية شكّلت الفصل الأول من الدراسة، أمّا الفصل الثاني، فقد اعتنى بنقد عدد من الموضوعات الأساسية التي جاءت في كتاب الحدّاد، برؤية أخرى مغايرة، وبصورة مستدلّة.

وتضمن هذا الفصل أكثر من نوع من المباحث، منها عقائد إسلامية سعى الحدّاد للطعن والتشكيك فيها، وإثارة الشبهات حولها، أو عقائد نصرانية أراد تثبيتها، وتلمّس الشواهد لها من القرآن الكريم أو من غيره، فاختلف منهج وأسلوب البحث حولها.

فمثلاً حاول التشكيك بكون القرآن موحى به من قبل الله تعالى، فيدّعي أنّ النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله) قد تعلّمه من أهل الكتاب، وأنه تردّد لمضامين الكتاب السابق، فلا بدّ هنا من دراسة خصائص القرآن الكريم، ومقارنتها مع خصائص الكتب السابقة، للتعرف على مصداقية هذه الدعوى، والنظر في شخصية النبيّ محمد(صلى الله عليه وآله) قبل البعثة وبعدها، وتماسه مع أهل الكتاب إن وجد ومعطياته، من أجل الحكم على هذه الدعوى نفيّاً أو إثباتاً، ومن ثمّ دراسة الظاهرة القرآنية وفق منهج الدليل الاستقرائي العلمي، من أجل تفسيرها. إن كانت وليدة ظروفها الموضوعية، أو هناك عامل غير منظور يقف وراءها ويفسّرهما.

وفي مبحث آخر أراد أن يثبت عدم تحريف الكتب السماوية السابقة، كما أنّه يعرض أسفار العهدين على أنّها كتاب سماوي موحى به.

فهنا تمّ التعريف بأسفار العهدين، وبيان ما يقوله التاريخ بشأنها، ثمّ التعريف بالوحي والإلهام، وعرض مضامين هذه الأسفار على ميزان الوحي، وأحكام العقل القطعية، وعلى الحقائق العلمية الثابتة، للتعرف إن كانت تشهد لها أو ضدها، فهذه شهادات صادقة على الموضوع.

وهكذا جرى بحث الموضوعات الأخرى، لمحة تاريخية، ومحاكمة عقلية، وبيان رأي بعض النقاد فيها، ووزنها بميزان الوحي الإلهي.

وقد اتّبع الباحث في تفسير الآيات على منهج تفسير القرآن بالقرآن الذي هدى إليه وطبقه أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وسار عليه أكابر المفسرين، ومنهم السيّد العلامة الطباطبائي، ومن أبرز خصائص هذا المنهج ما يلي<sup>(٣١)</sup>:

١ - إنّ القرآن الكريم باعتباره كلام الله - بدليل الإعجاز - فهو ليس مديناً في حجّيته لغيره، بل حجّيته ذاتية، ونصوصه الصريحة حجّيتها قطعية، وظواهره حجّيتها ظنية.

٢ - إنّ القرآن الكريم مستقل في إثبات المعارف، وحجّيته فعلية وقابلة للاستدلال، فلا يحتاج إلى ضمنية معه - كشهادة العدل الواحد - بل هو كشهادة العدلين بيّنة عادلة.

ولا يعني ذلك عدم احتياجه إلى السنّة، فهو الذي اعتبرها، وهدى إلى مضمونها، فتكون حجة عندما تعرض عليه، ولا يتعارض فحواها معه - هذا في خصوص السنّة غير القطعية - .

٣ - إنّ الحجية لا تنحصر في تفسير القرآن بالقرآن، بل صرح القرآن نفسه بحجية العقل، والسنّة المسلمة من المصادر الغنية والقوية للدين، في كل شؤون التفسير.

٤ - إنّ آيات القرآن الكريم في الدائرة والنطاق الذي تتحدّث عنه قابلة للفهم، فقد جعله الله تعالى نوراً وهدى وتبياناً لكلّ شيء، وحثّ على التدبّر في آياته.

٥ - إنّ ما نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله) ممّا يمكن استفادته من الكتاب العزيز، نعم تفاصيل الأحكام ممّا لا سبيل إلى تلقّيه من غير بيان النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذا تفاصيل القصص والمعاد مثلاً.

(٣١) انظر في ذلك: الشيخ جواد الأملي، تفسير تسنيم - بالفارسية - ج ١، قم، نشر إسرائ، ١٤٢١ ق / ٦٣ وما بعده، وأيضاً: السيّد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ط ٥، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣ ق - ١٩٨٣ م / ٦، ج ٣ / ٨٤ - ٨٥.

٦ - إنّ الأفكار الأخرى وإن كان لها نصيب لا يستهان به في فهم القرآن، ولكن من أجل الاستفادة من معارفه لا يحتاج المخاطبون به إلى أكثر من العلوم الأساسية المؤثرة في فهمه، بالإضافة إلى ضمير وروح غير مدنّسة بالآثام.

٧ - إنّ القرآن الكريم: «ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»<sup>(٣٢)</sup>.

٨ - إنّ القرآن الكريم هو الذي يبيّن الخطوط العامة والكلية للمعارف الدينية، وليس فيه أمر مبهم أو غامض من الناحية التفسيرية، فلو أنّ ألفاظاً في آية لا يمكن فهمها لوحدها، فالآيات الأخرى أخذت في عهدها بيان أصل الموضوع. وتكون الروايات مؤكدة ومعززة للمعاني المستنبطة من ضمّ الآيات إلى بعضها، والتدبر فيها.

٩ - إنّ القرآن الكريم له ظاهر وباطن، والعلم بذلك على نحو شامل هو من اختصاص المعصومين (عليهم السلام)، فلمهم طريق إلى مقامه المكنون، كما أنّ الاستفادة من ظواهر ألفاظ القرآن في حدود معرفة كليات الدين، مع رعاية شروطه الخاصة هو في متناول الجميع، والتفسير الباطني يلزمه العرفان القلبي، أي العلم الحضورى، وسنة المعصومين الناضرة إلى المعارف الباطنية للقرآن.

١٠ - للتفسير مستويات، تعبّر عن مستوى فهم وإدراك الأفراد لرسالة القرآن، وعمق معانيه، وهي متفاوتة بحسب الإمكانيات الفكرية والعلمية، وما يتوفر عليه المفسر من ملكات معنوية وتقوائية، فالبعض يصل إلى المعاني الواضحة والقريبة للآيات، ويعجز عن إدراك النكات الدقيقة والمعارف العميقة، وهذا ما أشار له الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(٣٣)</sup>. فتفسير القرآن بالقرآن بعض صورته سهلة وميسرة، وبعضها الآخر صعب، ويكشف عن معاني غير ظاهرة.

١١ - إنّ تفسير القرآن بالقرآن يحقق النظرة الموضوعية والمنهج السليم في الكشف عن معاني القرآن، ويبعث على المحافظة على الإنسجام والتناسق بين آياته، فهو واحد منسجم، والتمسك بآية من دون الرجوع إلى سائر الآيات الشارحة

(٣٢) نهج البلاغة، من الخطبة (١٣٣).

(٣٣) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ ق - ١٩٨٣ م / ١٠٧.

والمفسرة لها بمثابة تجزئة، وإخراج لها من بنائها الخاص، وهو من قبيل (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)<sup>(٣٤)</sup>، أي تقطيع نسيج القرآن المتماسك إلى أوصال.

١٢ - إن تفسير القرآن بالقرآن، كما يستعين بالآيات الأخرى في تفسير آية، باعتبارها قرائن منفصلة في فهم الكلام، فإنه لا يغفل عن سياق الآيات باعتباره أحد القرائن الحالية في فهم ذلك الكلام.

#### خامساً: مسلّمات البحث

لابدّ من أصول موضوعية، ومسلّمات يتوافق عليها الباحثون لتكون منطلقاً للبحث والحوار، ويمكن إجمالها بالنقاط التالية:

- ١ - التوحيد والعدل الإلهي.
- ٢ - النبوة والوحي ومعجز الأنبياء.
- ٣ - أحكام العقل القطعية.
- ٤ - التواتر<sup>(٣٥)</sup>.
- ٥ - الإسلام دين توحيدي.
- ٦ - المسيح (عليه السلام) شخص معصوم، وإنسان كامل.
- ٧ - عصمة مريم (عليها السلام) وبشريتها.
- ٨ - الإيمان بدور السياق في تفسير النصوص.

#### سادساً: مسائل البحث

هناك مسائل كثيرة حاول الباحث الإجابة عنها، بعضها أساسية وبعضها الآخر فرعية، أمّا المسائل الأساسية فيمكن إجمالها بما يلي:

ما هي منطلقات الحدّاد في كتابه؟ وما هي أبرز سمات منهجه؟

هل التزم بصحة النقل أم لا؟

هل القرآن كتاب مصدره الوحي الإلهي أم التعليم البشري، كأن يكون من إملاء أهل الكتاب؟ وهل هو ذو قيمة واحدة مع الكتب السماوية السابقة، أو كتب العهدين؟

(٣٤) سورة الحجر / ٩١.

(٣٥) لغة؛ هو مجيء الواحد بعد الآخر على وجه الترتيب، واصطلاحاً، هو خبر جماعة يفيد بنفسه القطع بصدقه، بشرط أن يؤمن معه تعمدّم الكذب، انظر؛ الشيخ جعفر سبحاني، أصول الحديث وأحكامه، قم، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ١٤١٤ ق / ٢٤٠ وما بعدها.

وهل تعرّض النّصّ القرآنيّ للتحريف، كأن أضيف إليه، وأقحم فيه ما ليس منه؟  
هل النّسخ بين الشرايع السماويّة ممكن أم مستحيل؟ وهل هو واقع ومتحقق أم لا؟  
هل تعرّضت الكتب السماويّة السابقة على الإسلام للتبديل والتغيير أم لا زالت  
مصونة ومحفوظة ومعتبرة؟ وما هو حكم الوحي والعقل والعلم بشأنها؟  
هل المسيح (عليه السلام) بشر أم إله، أم إله وبشر - كما يدّعي المسيحيون -؟  
ما هي صفاته وخصائصه في المسيحيّة وفي الإسلام؟ هل هو ابن الله حقيقة أم  
لا؟ وهل هو عبد أم ربّ؟ وهل افتدى البشرية من خطاياها، فقتل وصلب لكي يخلص  
غيره من العذاب، أم جاء برسالة يبشر وينذر، ويهدي إلى صراط الله؟  
هل هناك تثليث في الدين الإلهي، أو هو عقيدة أجنبيّة تسرّبت إليه من الخارج؟  
وهل يتلاءم التثليث مع التوحيد؟  
ما هي الخطيئة الأصليّة؟ وهل أنّ آدم (عليه السلام) هتك حرمة العبوديّة لله تعالى؟  
وهل أنّ الأنبياء يرتكبون المآثم ويواقعون الذنوب؟  
ما العلاقة بين الفداء والخطيئة البشريّة؟ وهل تنسجم عقيدة الخطيئة مع الدين  
الإلهي وعدله؟  
ما هي حقيقة الروح القدس؟ هل هو إله أم مخلوق؟  
ما هي نظرة القرآن الكريم لأهل الكتاب؟  
ما هي رؤية القرآن الكريم للسيدة مريم (عليها السلام)؟  
وأما المسائل الفرعيّة فيمكن للقاريء أن يتعرّف عليها من خلال مطالعة البحث.

#### سابعاً: نتائج البحث

انطلق الحدّاد من ثوابت قام بفرضها على البحث، أهمها تابعة القرآن ونبيّه لأهل  
الكتاب وتراثهم، وسعيه الحثيث في تحميل عقائده ومتبنياته الفكرية على القرآن  
الكريم، فحاول إنطاقه بما لم ينطق به، والإفتاء بالنيابة عنه، لا ان يقوم باستفتاءه،  
فكانت أبرز سمات منهجه، بالإضافة إلى التكرار، هي:

- ١ - التفسير بالرأي.
- ٢ - الميل واتباع الهوى.
- ٣ - اتباع المتشابه وإغفال المحكم.



٤ - تقطيع النصوص وإغفال مبدأ السياق في التفسير.

٥ - الأحكام الجزافية.

٦ - تحريف الكلم عن مواضعه.

٧ - التقوّل على القرآن، ونفيه لحقائق ثابتة فيه.

٨ - التعامل السطحي مع المفاهيم القرآنية.

٩ - غياب الموضوعية بين التهويل والتهوين.

١٠ - التهافت والتناقض في الأحكام والأقوال.

ولم يلتزم جانب الأمانة في نقل النصّ القرآني في كتابه، فلو حظ الكثير من التغيير والتحوير في الآيات المذكورة.

وقد برهن الباحث أنّ مصدر النصّ القرآني هو الوحي فحسب، وليس للبشر أيّ دخل فيه، من خلال استقراء خصائصه، والتعرّف على بيئته، وهو المهيمن والقيّم على الكتب السماوية السابقة، وكلام الله لا يقاس بكلام البشر الذي يصيب ويخطيء ويصدر عن أفق محدود، ولا يخلو من نواقص وقصور، والقرآن الكريم تناقلته الأجيال منذ زمن التنزيل إلى عصرنا بعناية فائقة حفظاً وتدويناً، وهي على ذلك ما بقيت الدنيا، فتواتر نصّه وتكّمل الله تعالى بحفظه، فلم يطرأ عليه زيادة أو نقصان مطلقاً.

وقد ثبت إمكان النسخ عقلاً، ووقوعه فعلاً، وفق الحكمة الإلهية وسنة التكامل، وكانت رسالة القرآن ناسخة لما قبلها من الشرايع السماوية، ودعت الناس للإيمان بها، واتباعها، ولا نجاة لهم من دونها.

وقد أوكل حفظ الكتب السماوية السابقة إلى أقوام الأنبياء، فتلاعبت بها الأهواء من بعد ذلك، وصارت عرضة للاتلاف والتغيير والكتمان، ودونت كتب غيرها، فيها شيء من التراث الإلهي والنبوي، وتحمل في طياتها الكثير من الأباطيل والأساطير، ففيها مما يحكم العقل ببطلانه، ومما يكذبه الوحي، وينفيه العلم، وينفر منه الطبع السليم.

كما أنّ التاريخ والعقل، والوحي، يحكمون بأنّ المسيح (عليه السلام) إن هو إلاّ بشر اصطفاه الله وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل، مبشراً ونذيراً، وأكرمه الله تعالى بخصائص وصفات فجعله وأمه السيّدة مريم (عليهما السلام) آية للناس، إذ خلقه من دون أب، مثله في ذلك كمثل آدم (عليه السلام)، وأنطقه في المهد صبيّاً، وأجرى على يديه المعاجز، كغيره من الأنبياء، ودعا إلى عبادة ربّه وتوحيده، وعدم الشرك به، وكانت

فترة دعوته قصيرة نسبياً، حيث ازداد مكر اليهود به، فرفعه الله تعالى حياً، ولم يقتل ولم يصلب، ولم يدّع إله ابن الله، أو هو إله، بل عاش حياة العبودية الصادقة لله تعالى، ولكن الناس من بعده - وكان لبولس دور رائد في ذلك - قد غالوا فيه، وجعلوه ابناً لله سبحانه وتعالى، فألهوه، كما هو حال الأمم الوثنية آنذاك التي تؤله ملوكها وقادتها، فانهدم أهم ركن في الدين الإلهي ألا وهو التوحيد، فابتعدت المسيحية عما جاء به المسيح، وبقبولها فكرة ألوهية الإنسان الذي عاش كغيره من أبناء جنسه مع فارق النبوة والكرامات التي من الله عليه بها، تكون قد فتحت بابها على مصراعيه لقبول كل غريب وأجنبي عن دين الله، فكان الثالوث من بعد ذلك، إذ ابتدع بعضهم فكرة تأليه روح القدس، ولما لم يكن بمقدور القوم انكار التوحيد صراحة، حاولوا ان يجمعوا بين التوحيد والتثليث، بمقولات أنكرها العقل، وندد بها الوحي، ولكنها أصبحت ديناً يعطى للوليد مع اللبن، ويحاط بهالة من القداسة، ثم تبريره من قبل ورثة هذا التراث، وعرضه على الأتباع بوصفه من الأسرار الإلهية التي لا يتناولها العقل!.

والذين احاطت بهم الخطيئة واستولت عليهم الذنوب، جعلوا من المسيح فادياً ومخلصاً فنحوا دين الله من الحياة، وتشبثوا بهذه العقيدة الأسطورية، بعد أن عمّموا الخطيئة على الناس كلهم، وحتى النفوس المقدسة للأنبياء لم تسلم من تقولاتهم، ونعوتهم السيئة، والحال إن الله عبادة مخلصين مطهرين، لا سلطان لعدو الله، وجنده عليهم.

والعقل والدين الإلهي ينكران أسطورة الفداء والخلاص، فالرسالات السماوية كلها تقوم على أساس الإيمان - الصحيح - بالله تعالى والعمل الصالح، فهما الجناحان اللذان يطير بهما الإنسان إلى رضوان ربه وجنانه.

وهناك مسائل أخرى كثيرة تتناولها الدراسة من خلال بحث هذه المسائل الكلية. وقد أنجزت هذه الدراسة، والباحث مشتت البال، وموزع الخواطر والأفكار في أحداث الوطن الذي استقطب الدنيا ولا زال يعيش المحن.

والحمد لله أولاً وآخراً



# نقد منهج المؤلف



## المنهج في سماته العامة

عمد المؤلف في كتابه إلى السير بالبحث في اتجاه خاص، محدد الأبعاد سلفاً رامياً فرض ما ورثه عن الآباء والأجداد من أفكار ومعتقدات على الغير، دون أن يتمكن من معاينة الحقائق الواضحة والدلائل البيّنة التي يحاول تجاوزها بأيّ ثمن، ولو بآراء هزيلة، وأقوال فجّة، وحجج ضعيفة.

ولمّا أراد بحث هذه العقيدة من زاوية قرآنية فقد حشد لذلك عدداً ضخماً من الآيات القرآنية، وقد سبقه في ذلك الكاردينال نيكودلاي كوزا (١٤٠١ - ١٤٦٤م) الذي مثل نقطة الشروع في هجوم أوربا المسيحية على الإسلام بدعوة من البابا بيوس الثاني فهو:

«الذي دعاه إلى تأليف كتاب يفند فيه الإسلام فنشر كتاباً يتهجم فيه على الإسلام بعنوان (غربة القرآن)، في سويسرا عام (١٥٢٣ م) في ثلاثة أجزاء، مفاد جزئه الأول إثبات حقيقة الإنجيل استناداً على القرآن، على حد زعمه، وجزئه الثالث ما وصفه بتناقضات القرآن، وبعده توالى جدلهم وهجومهم على القرآن»<sup>(٣٦)</sup>.

لكن ما يلفت الانتباه في عرضه للنصّ القرآني هو ذلك الكم من التحريف والوهم، الذي لا يمكن صدوره بصورة عفوية، أو يحسب على الأخطاء المطبعية، فينبّه الباحث ويدعوه إلى التدقيق والتحقيق في بضاعته المعروضة.

ومن المناسب الإشارة إلى أنّ معظم هذه الدراسات وجهت نقدها للإسلام عامّة، ولم تتطرق إلا بشكل عرضي للقرآن، وأوّل دراسة مفصّلة ضد القرآن:

«ظهرت في العقد الأخير من القرن السابع عشر وقام بها لود فيكو مرعشي (١٦١٢ - ١٧٠٠ م) في جزئين ويعتبر عمله نقطة انطلاق للدراسة الجادة في أوربا عن القرآن، ولكن عمله غير دقيق وملئ بالأخطاء الفادحة والحجج الضعيفة التي تفتقر إلى الدقة العلميّة، وهذه الأخطاء نجدها بدرجات متفاوتة في كل البحوث

(٣٦) د. عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، ط١، مصر، مكتبة مدبولي الصغير، ١٩٨٨ / ٦، بتصرّف واختصار.

والدراسات حول القرآن التي قام بها المستشرقون خلال القرنين التاليين لظهور كتاب مرعشي»<sup>(٣٧)</sup>.

وقد سعى حديثاً كي يصوّر القرآن ونبيّه بأثهما عالية على الكتاب السابق وأهله، وإن كان البحث يثبت بأنّ هذا الكتاب الذي يتحدث عنه مفقود الأصل، وما في أيدي القوم إلا تراث جمع في وقت متأخر من ذاكرة الناس فاختلف فيه الحقّ بالباطل، وأهله فرقتهم الأهواء وشنتهم المذاهب والأحزاب وهذه التبعية المزعومة ليست بالبدعة الجديدة، بل هي معزوفة ارتفع بها صوت القشريين والسطحيين من المستشرقين بدعوى أنّ:

«في القرآن انتحال وتقليد وسرقة معتمدين على تشابه لا أساس له، وهذا ما قام به مستشرقون مثل جوتسيهر، ونودلكه، وشوالي، ومرجو ليوث، ونحفظ نوعاً ما فيما يتعلق بنودلكه الذي يتبرأ نوعاً ما من مؤلفه، عندما رفض إعادة طبعه تاركاً المستشرق شوالي يقوم بهذه المهمة فطبع الكتاب ثانية فاصبح يعرف بكتاب نودلكه شوالي»<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن أتى لهم التطاول على شموخ القرآن وتعالیه، فقد صرح مراراً يتحدث المشككين وينبئ عن عجزهم في مجاراته، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فاعتمد المؤلف على مثل هذه الظنون والأوهام، وتأوّل القرآن انسياقاً مع ميوله وأغراضه، فلوى عنق النصّ في سبيل تدعيم آرائه ومتبنياته الفكرية، فمال واتبع الهوى، وكان أمره فرطاً.

فنجده قد زاغ قلبه، يلهث وراء نصوص مجمّلة ومتشابهة، ويهمل نصوصاً صريحة ومحكمة، ابتغاء الفتنة، وتحقيقاً لأغراض ضالة.

وعلى الرغم من إدراكه لأهمية استحضار النصّ كاملاً، باعتباره يشكل وحدة مترابطة يفسر بعضه بعضاً، إلا أنه جار على النصوص فاهمل بعضها، واقتطع الأخرى من سياقاتها، ليحمّلها ما لا تحتمله من المعاني.

وجازف كثيراً في أحكامه، فأطلقها من غير تروٍّ ولا تثبّت، وساق المغالطات، وكأثها البديهيّات التي لا تعترّيها الشبهات.

ومن أجل تدعيم آرائه ومعتقداته حرّف الكلم عن مواضعه، وأبعده عن مقاصده ومثله بغير مصداقه.

(٣٧) د. عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه / ٧، بتصرّف واختصار.

(٣٨) د. عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه / ٨ - ٩ باختصار.

وتجراً فتقول على القرآن فأسند له ما لم يقله، ولم ينطق به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عمد إلى نفي حقائق واضحة قد أجلاها وبيّنها.

كما أنه تعامل مع المفاهيم القرآنية، ومضامينها العالية بسطحية وسذاجة، جرياً وراء تكريس آراء سمجة وضحلة.

كل ما تقدم أفقد بحثه سمة الاتزان والموضوعية، فاندفع في أحكام تهويلية في دائرة ما يستهويه، وارتسم حلواً في خاطره، فأخرجها من حدّها المعقول والمقبول، وأخرى تهويلية وتحقيرية، نسجت أیدی الأسلاف، وأخرجتها باهتة ومشوهة، فحجبته عن رؤية الحقيقة كما هي.

ومع غياب الاعتدال، وغلبة الهوى والانفعال، ظهر على أحكامه وأقواله التعارض والتناقض.

وسوف أعرض سمات منهجه ضمن عشرة مباحث .



## المبحث الأول

### التفسير بالرأي

\* التفسير في اللغة والاصطلاح

\* التفسير بالرأي غير التفسير الاجتهادي

\* التحذير من التفسير بالرأي

\* نظرية القرطبي في التفسير بالرأي

\* خلاصة القول فيه

\* نماذج اعتمد فيها المؤلف على التفسير بالرأي:

١ - شهادات قاصرة على سلامة الكتب السماوية السابقة:

\* النموذج الأول: كلمات الله لا تتبدل وكلامه لا يلحقه التحريف

\* النموذج الثاني: الأمر بالإيمان بالكتاب

* النموذج الثالث:	الأمر بالعمل	بما	في
-------------------	--------------	-----	----

الكتاب.

\* النموذج الرابع: الاستشهاد بالكتاب وبمن عنده علمه.

\* النموذج الخامس: النفر الصالح لا يسمح بتحريف التوراة

٢ - إسلام أهل الكتاب وشقاقهم والحرب معهم:

\* النموذج الأول: دعوى إسلام جميع أهل التوراة وأهل الإنجيل

* النموذج الثاني:	تولي	أهل	الكتاب
-------------------	------	-----	--------

وشقاقهم

\* النموذج الثالث: هوية الحرب مع أهل الكتاب.

٣ - الرسول ودعوته في ميزان أهل الكتاب:

\* النموذج الأول: ائتداء الرسول بما في الصحف الأولى

\* النموذج الثاني: الذي شهد للرسول.

* النموذج الثالث:	الانقلاب	في	أسلوب
-------------------	----------	----	-------

الدعوة.

٤ - قيمة الكتب السماوية:

\* النموذج الأول: الكتاب المقدس والبراءة من النار

\* النموذج الثاني: قيمة الكتب السماوية

٥ - الواجهة في الدنيا والآخرة

المبحث الأول: التفسير بالرأي

## أولاً: التفسير بالرأي

### التفسير في اللغة والاصطلاح

«البيان والإيضاح والكشف»<sup>(٣٩)</sup>

وجاء اللفظ في القرآن الكريم في مورد واحد، قال تعالى:

(وَلَا يَأْتُونكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)<sup>(٤٠)</sup>.

فتفسير الكلام: بيان معناه، ويُفترض وجود غموض وخفاء ليُكشف عنه وإلا فمع ظهور المعنى لا إظهار ولا تفسير.

والتفسير أمر إضافي، فالنصّ قد يكون بحاجة إلى بيان بالنسبة إلى شخص ولا يكون كذلك بالنسبة لآخر.

### التفسير بالرأي غير التفسير الاجتهادي

تجدر الإشارة إلى أنّ التفسير بالرأي المنهي عنه لا يعني التفسير الاجتهادي، الذي يقابل التفسير بالمأثور، إذ لا شك في جوازه إذا تمّ بطريق سليم، واتبعت القواعد الصحيحة فيه، ومن مرتكزات السلامة هو عدم التفريق بين الكتاب وآل الرسول. فقد أكد هذا المبدأ في مواضع متفرقة، إذ تواتر عن النبيّ قوله (صلى الله عليه وآله):

«إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(٤١)</sup>.

(٣٩) انظر، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢ / ٣٥٥، الفيومي، المصباح المنير / ١٨٠، الجرجاني، كتاب التعريفات / ٤٦، بتصرف واختصار.

(٤٠) سورة الفرقان: ٣٣.

(٤١) عبد الحسين شرف الدين المراجعات، تحقيق الشيخ حسين الراضي، ط ١، قم المقدسة، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٢ هـ / ٦٧. ورواه الترمذي، في صحيحه، ج ٥، ٦٢٢، ج ٣٧٨٨، وابن كثير في تفسيره ج ٤ / ١١٣، والسيوطي في الدر المنثور ج ٧ / ٣٤٩، وابن حجر في الصواعق المحرقة ج ٢، ٦٥٢ - ٦٥٣، والطبراني في المعجم الصغير ج ١ / ١٣٥، وابن الاثير في أسد الغابة ج ٢ / ١٣، والقندوزي في ينابيع المودة / ٣٣، وابن الاثير في جامع الأصول ج ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨ حديث ٦٥ و ٦٦، وغيرها.

وذكر العلماء أنَّ المفسر ينبغي أن يتقن ويتبحر في مجموعة من العلوم كمقدمة للدخول في علم التفسير<sup>(٤٢)</sup>.

وخير من يفسر القرآن هو القرآن نفسه، فقد جاء في خطبة لأمير المؤمنين(عليه السلام):

«كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»<sup>(٤٣)</sup>.

### التحذير من التفسير بالرأي

حذر القرآن من إقتفاء آثار الظنون، والقول في العلم من غير دليل أو برهان، أو اتباع الهوى فإنه يصدّ عن الحقّ، قال تعالى:

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)<sup>(٤٤)</sup>.

ومن هنا جاء التحذير والنهي عن التفسير بالرأي عن أهل بيت النبوة(صلوات الله عليهم أجمعين) في روايات متظافرة، منها ما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله): «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٤٥)</sup>.

وعن الصادق(عليه السلام)، قال:

«من فسر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»<sup>(٤٦)</sup>.

ومن الرواية الأخيرة وأمثالها فهم العلامة الطباطبائي بأنّ التفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع الى: «طريق الكشف دون المكشوف»<sup>(٤٧)</sup>.

أي إنّ المفسر يتبع طريقاً غير مأمون، وغير سديد، والغالب فيه أنّه لا يوصل إلى الحقّ.

(٤٢) انظر السيّد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣ / ٦١ - ٦٤ و ٨٢، والشيخ خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ النوع (٤٢) / ٣٧٩ وما بعدها، وكذلك ج ٢ النوع (٧٨) / ٣٥١ وما بعدها.

(٤٣) نهج البلاغة، من الخطبة / (١٣٣).

(٤٤) من الآية (٢٣) سورة النجم.

(٤٥) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ج ١، بيروت / مؤسسة الأعلمي / ٣٥، وانظر جامع الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر، ج ٥، حديث ٢٩٥٠ - ٢٩٥٢، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ / ١٨٣ - ١٨٤.

(٤٦) العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي - ١٤١١ هـ - ١٩٩٩ م / ٢٩، الحديث ٤.

(٤٧) السيّد محمد حسين الطباطبائي، الميزان ج ٣ / ٧٦.

## نظرية القرطبي في التفسير بالرأي

هناك اختلاف بين العلماء<sup>(٤٨)</sup> في بيان المراد من أحاديث التفسير بالرأي، وقد حمل القرطبي النهي الوارد فيها على أحد وجهين، وأوجههما هو:

«أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه، وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسر برأيه، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به.. وذلك غير جائز، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة»<sup>(٤٩)</sup>.

وهناك روايات تحذر من جعل كلام الله بمستوى واحد من كلام الناس، والظن بأن نفس قواعد الفهم العرفي تنطبق عليه أيضاً، كما هو المروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال:

«إياك أن تفسر القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء، فإنه ربّ تنزيل يشبه بكلام البشر وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر..»<sup>(٥٠)</sup>.

ومن المناسب التذكير بأن هناك مستويات من التفسير<sup>(٥١)</sup>، تعبّر عن مستوى فهم وإدراك الأفراد لرسالة القرآن وعمق معانيه، والتي تتفاوت بحسب الإمكانيات الفكرية والعلمية، وما يحوزه المفسر من ملكات معنوية وتقنيّة، فالبعض يدرك المعاني

(٤٨) السيوطي في الإتقان، ج ٢ / ٣٥٧، ذكر خمسة أقوال، وأضاف لها السيّد الطباطبائي خمسة أخرى في الميزان ج ٢ / ٧٦ - ٧٧، واحتمل الشهيد السيّد محمّدباقر الحكيم ثلاثة معاني لذلك في علوم القرآن / ٢٣٣ وما بعدها.

(٤٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الرزاق مهدي ج ١، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٦٨ - ٦٩، باختصار، وصحّ الشيخ معرفة، ما ذكره القرطبي، وقال: عليه أكثر العلماء، انظر كتابه التفسير والمفسرون، ج ١، ط ١، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤١٨ هـ / ٦٦.

(٥٠) محمّد بن عليّ بن بابويه القمي (الصدوق)، التوحيد، تعليق السيّد هاشم الحسيني، ط ٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ هـ.

(٥١) انظر مباني روشهای تفسیری (فارسی) / ٢٧ - ٢٩، للاستاذ السيّد محمّد عليّ أيازي.

الواضحة والقريبة للآيات ويعجز عن إدراك النكات الدقيقة والمعارف العميقة وكشف عن ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطف للولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(٥٢)</sup>.

### خلاصة القول فيه

مما تقدم يمكن القول بأنّ التفسير بالرأي هو طريقة باطلة في التفسير، يعتمد فيها المفسّر على الذوق والحدس والظن الذي يفتقر إلى الدليل، ويحكمّ قلبه الذهني وآراؤه المذهبيّة ومتبنياته القبليّة على مقاصد القرآن، ويتغافل عن القواعد والأصول عند أهل الفن والعلم، وتتحمّك فيه الأغراض وتتلاعب به الأهواء، فينفرد بآراء شاذة، يظهر عليها التناقض والتعارض.

وهناك أمراً مهماً في تفسير القرآن وهو التمييز بين تفسير اللفظ على مستوى المفاهيم، وتفسير المعنى من خلال تحديد مصداقه، وصورته المحددة<sup>(٥٣)</sup>.

ونعرض الآن نماذج اعتمد فيها الحدّاد في كتابه على هذا المنهج الخاطيء في التفسير.

(٥٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ ق - ١٩٨٣ م / ٢٠، حديث ١٨.

(٥٣) انظر: الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم، علوم القرآن، ط ٣، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧ هـ / ٢١٩ - ٢٢٤، والفقرة بقلم الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.

## نماذج اعتمد فيها المؤلف على التفسير بالرأي

١ - شهادات قاصرة على سلامة الكتب السماوية السابقة  
النموذج الأول: كلمات الله لا تتبدل وكلامه لا يلحقه التحريف  
بعد أن ذكر قوله تعالى:  
(وَإِذْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) (٥٤).

قال الحداد:

«فالقرآن وحي من كتاب الله السابق (٥٥) لا يقدر النبي ذاته أن يبدله رداً  
على قولهم: (انْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) (٥٦)، لانه لا أحد يقدر على تغيير  
كلمات الله التي أنزلها، فكلام الله لا يلحقه التحريف في ألفاظه ولا في  
معانيه» (٥٧).

النقد:

استعملت (الكلمة) و(الكلمات) في القرآن الكريم في معاني مختلفة، يتحدد  
معناها من سياق الآيات المباركة، كالوعد بالنصر، والقضاء الحتم،  
والعين الخارجية كما هو الحال بالنسبة لعيسى (عليه السلام)، والأصل في  
الكلام هو:

«الشيء الذي يظهر الباطن والغيب، ونحن نسمي ألفاظنا كلمة لأنها  
تظهر ما هو في داخلنا ومن الأسرار الباطنية، فكل ما يجعل السر الباطن  
علنياً والغيب شهوداً والمستور ظاهراً يكون كلمة، لذا فكل العالم هو  
كلمات إلهية، بعض هذه الكلمات تبين الغيب جيداً، وبعضها لا يتمكن من  
إظهار الغيب، فالأنبياء كلمات إلهية، يقول تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً

(٥٤) من الآية (٢٧) / سورة الكهف.

(٥٥) هذا يندرج تحت سعيه الحثيث في نسبة تابعية القرآن لما سبقه من كتب سماوية.

(٥٦) من الآية (١٥) / سورة يونس.

(٥٧) الحداد، أ / ٤٨.

لِكَلِمَاتِ رَبِّي لِنَفْعِ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْقَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي (٥٨)، فكل فيض هو كلمة تظهر الغيب، ولما كان الغيب غير محدود فالكلمات الإلهية غير محدودة» (٥٩). والمراد من (كتاب ربك) الذي أوحى منه في الآية: «القرآن أو اللوح المحفوظ، والثاني أنسب بقوله (لا مبدل لكلماته) ويمكن أن يكون المراد: واثل عليهم هذه الآيات المشتملة على الأمر الإلهي بالتبليغ لأنه كلمة إلهية، ولا تتغير كلماته، وأنت رسول ليس لك إلا أن تميل إلى مرسلك وتؤدي رسالته، ويؤيد هذا المعنى قوله (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا\* إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ) (٦٠)» (٦١). وأياً كان هذا الكتاب، فلا علاقة له بكتاب الحداد الذي يريد أن يثبت سلامته من التبديل والتغيير.

وأمّا استشهاده بعدم قدرة النبيّ ذاته على تبديل القرآن باعتباره أنّه وحي الله وكلامه، ففيه مغالطة، باعتبار أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) رسول أمين على وحي الله تعالى، وقد اصطفاه ككل الرسل على علم منه بطهارة نفوسهم وعصمتهم، فهو واسطة أمينة في تبليغ الوحي، وإلاّ ينتقض الغرض من الأصل، فلا تتحقق الهداية الإلهية، ومن ثمّ لا تقوم الحجة على الناس، وعندما اقترح المشركون الوثنيون أن يأتي الرسول بغير هذا القرآن أو يبدّله، جاءهم الردّ الإلهي:

(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ...) (٦٢).

فهو متقيّد بالوحي الإلهي، فتحريف كتاب الله وكلماته مما لا يحتمل وقوعه إلاّ بأيدي آئمة ونفوس متسافلة، تشتري بكتاب الله ثمناً قليلاً، ممن وصفهم القرآن بقوله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...) (٦٣).

(٥٨) من الآية (١٠٩) / سورة الكهف.

(٥٩) آية الله جوادي الأملي / الوحي والنبوة في القرآن، ترجمة دار الصفوة، ط ١، بيروت، دار الصفوة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م / ٢٢٨ بتصرف واختصار.

(٦٠) الآية (٢٢) وصدر الآية (٢٣) / سورة الجن.

(٦١) السيّد الطباطبائي، الميزان، مج ١٣ / ٣٠١.

(٦٢) من الآية (١٥) / سورة يونس.

(٦٣) من الآية (٧٩) / سورة البقرة.



ففي التحريف والتبديل عن النبي لا يقتضي نفيه عن عامة الناس وفيهم المنحرفون وأهل الأهواء ممن تقدم ذكرهم في الآية السابقة، فأمانة النبي لا تستلزم أمانة فلان اليهودي أو النصراني الذي باع دينه لهواه فكتّم وبدّل وحرّف وابتدع. والأغرب من ذلك زعمه أنّ كلام الله لا يلحقه التحريف في معناه، في حين أنّه يتلاعب فيه كيفما يشاء!، وهذا جارٍ منه في كلماته المحكمة الواضحة، فضلا عن معانيه المتشابهة ولعله لم يسبقه أحد إلى هذا الادعاء، فإنّ جميع كتب الله لم تسلم من التأويلات الباطلة وهذا أمر مشهود لكلّ ذي سمع وبصر، وفي هذا الصدد قال المحقق الهندي في باب التحريف :

«هو قسمان لفظي ومعنوي ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني، لأنّهم يسلمون صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود... فلا احتياج إلى إثباته»<sup>(٦٤)</sup>.

والمؤلف ذاته لا يمكنه الالتزام بنفي التحريف المعنوي، فقد زعم في أكثر من موضع من كتابه<sup>(٦٥)</sup> بأنّ هناك إنجيلا منحولا يسمى «إنجيل الحداثة» ينقل عنه القرآن، وهذا يشير إلى التحريف اللفظي فضلا عن التحريف المعنوي. والقرآن الكريم يكذب زعمه هذا، فضلا عن أنّه ناقض نفسه عندما قال هنا:

«فالقرآن وحي... لا يقدر النبيّ ذاته أن يبدّله».

فالقرآن لم تعبث به يد التحريف لأنّ الله تعالى صانه وحفظه، باعتباره الرسالة الخاتمة، ومن دونه لا تقوم الحجة على الناس، قال تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) <sup>(٦٦)</sup>.

ولا أدلّ على التبديل الذي طرأ على الكتب السماوية السابقة من صيرورة الإنجيل الواحد أناجيل متعددة، وما ألحق بالتوراة من أسفار وأشعار، فالكتاب الواحد منها ينطوي على الاختلاف والتناقض، فضلا عمّا بين هذه الكتب من تفاوت واختلاف، يمكن أن يلحظه كل متتبع منصف، وقد أشار له الباحثون، وحدّدوا مواقعه بالتفصيل، فراجع البحوث المؤلفة في هذا الباب<sup>(٦٧)</sup>.

(٦٤) رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ج ١، بيروت، دار الجيل / ١٩٥٠.

(٦٥) انظر الصفحات: ١٦٠، ١٧٥، ١٨٤، من كتابه.

(٦٦) سورة الحجر / ٩.

(٦٧) نذكر منها على سبيل المثال، إظهار الحق للهندي، والهدى إلى دين المصطفى للشيخ العلامة البلاغي، وغيرها.

## النموذج الثاني: الأمر بالإيمان بالكتاب

قال الحدّاد:

«فيأمر محمّد قومه أن يؤمنوا بالكتاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ)»<sup>(٦٨)</sup>.

ثم تساءل قائلاً:

«فكيف يأمرهم أن يؤمنوا بكتاب قد تحرّف وضاعت صورته الأصلية؟»  
(٧٠).

### النقد:

إنّ الإيمان بالكتب السابقة كاعتقاد لا يستتبع عملاً لا محذور فيه، باعتبارها  
حقائق ثابتة أدّت وظيفتها، كما هو الإيمان بالرسول الذي لا يقتضي بقاءهم وديمومتهم.  
أمّا الكتب المحرّفة فهي كتب ضلال وساقطة عن الاعتبار، فمتعلق الأمر هو  
الإيمان بالمتقدم منها كما أنزل دون الاتّباع، وهو واضح وجليّ، وإنّما أكد على هذا  
الإيمان لأنّ اليهود فرّقت بين موسى وبين عيسى ومحمّد (صلوات الله عليهم  
أجمعين)، والنصارى فرّقت بين موسى وعيسى وبين محمّد (صلى الله عليه وآله)، والله أراد  
لهم وحدة الإيمان على خط الأنبياء جميعاً، ونبذ التفرق والتحزب لغير الحقّ. وقد  
روى عن ابن عباس ان الآية:

«نزلت في شأن جمع من كبار شخصيات أهل الكتاب، قد آمنوا  
بالرسول (صلى الله عليه وآله) وبكتابه وبموسى والتوراة والعزير، ولم يؤمنوا  
ببقية الأنبياء، فنزلت الآية وأعلمتهم ضرورة الإيمان بجميع الأنبياء  
والكتب السماوية ونحتل ان الكلام موجه لجميع المؤمنين الذين آمنوا  
بصورة إجمالية، ولم يتغلغل الإيمان في أعماق نفوسهم، أو ما زالوا لم  
يتعرفوا على تفاصيل العقائد الإسلامية»<sup>(٧١)</sup>.

(٦٨) من الآية (١٣٦) / سورة النساء.

(٦٩) الحدّاد، أ / ٥٤.

(٧٠) الحدّاد، أ / ٥٤.

(٧١) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ط ١، قم، مدرسة الإمام عليّ بن أبي  
طالب، ١٤٢١ هـ. ق / ٤٨٨ - ٤٨٩، بتصرّف واختصار.

### النموذج الثالث: الأمر بالعمل بما في الكتاب

قال الحدّاد:

«ويأمر القرآن أهل الكتاب أن يعملوا بما فيه، فهل يفهم أمر كهذا لو أنّ فكرة التحريف موجودة في ضمير النبيّ العربيّ؟ (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) (٧٢)، فهل يقصد معاصري موسى أو عيسى أم يخاطب معاصري زمانه؟» (٧٣).

### النقد:

إنّ المراد بالتوراة والإنجيل هو أصلهما المنزل على موسى وعيسى (عليهما السلام) دون ما هو متداول بين أقوامهما وذلك للتبديل الذي طرأ عليهما، وأمّا إقامتهما فيراد به:

«حفظ العمل العام بما فيها من شرائع الله تعالى، والإعتقاد بما بيّن الله تعالى فيها من معارف المبدأ والمعاد، من غير أن يضرب عليها بحجب التحريف والكتمان والترك الصريح، فلو أقاموها هذه الإقامة لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.» (٧٤).

ولكنهم لم يحققوا شرط هذه النعمة العظيمة، في إقامة تلك السنّة القويمة، والآية في وزان قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (٧٥).  
فمع فرض مخاطبة معاصريه، كانت هناك أمور مهمة توجب لهم دوام النعمة؛ ولعلّ أهمها هو الإيمان بالنبيّ الخاتم، لأنّ البشارات كانت لا تزال بأيديهم، ويستفتحون بها على المشركين، ولكنهم استكبروا إلا قليلا منهم، فكتموا وبدّلوا، ولم يقيموا ما أمروا به.

فما تشبّث به على صحة كتابه، لا دلالة له على مدّعه.

(٧٢) من الآية (٦٦) / سورة المائدة.

(٧٣) الحدّاد، أ / ٥٦.

(٧٤) الطباطبائي، الميزان، مج ٦ / ٣٨.

(٧٥) من الآية (٩٦) / سورة الاعراف.

النموذج الرابع: الاستشهاد بالكتاب وبمن عنده علمه

قال الحدّاد:

«نرى محمّداً يستشهد بالكتاب وبمن عنده علم الكتاب على صحة قرآنه: أيجوز أن يستشهد بمحرّفين وبكتاب محرّف؟ (الشعراء<sup>(٧٦)</sup> ١٩٧)»<sup>(٧٧)</sup>.

النقد:

الذي استشهد به من سورة الشعراء هو قوله تعالى:

(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ\* أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)<sup>(٧٨)</sup>.

والمعنى الذي ذكره السيّد الطباطبائي للآيتين هو:

«إنّ خبر القرآن أو خبر نزوله عليك في كتب الماضين من الأنبياء، وإنّ علم علماء بني إسرائيل بخبر القرآن أو نزوله عليك على سبيل البشارة في كتب الأنبياء الماضين - آية - للمشرّكين على صحة نبوتك، وكانت اليهود تبشر بذلك وتستفتح على العرب، وقد أسلم عدّة من علماء اليهود في عهد النبيّ (صلى الله عليه وآله)، واعترفوا بأنّه مبشر به في كتبهم»<sup>(٧٩)</sup>.  
فالآيتان ليستا في مقام بيان التحريف وعدمه، بل لبيان حقيقة مسجّلة في كتب الأوّلين، والتي كتّمها أكثرهم، وأذعن لها أفراد قلائل، وثبوت هذا الأمر وحفظه لا يكشف عن عدم ضياع غيره من الحقائق، بل أخبر القرآن عن تحريف حقائق كبرى من قبل أهل الكتاب، كدعواهم بنوّة المخلوق للخالق، والقول بالتثليث، وغيرها من التجديفات التي سطرتها الأقلام ونقلتها الكتب.

النموذج الخامس: النفر الصالح لا يسمح بتحريف التوراة

بعد أن ذكر قوله تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...)»<sup>(٨٠)</sup>.

قال متسائلاً:

(٧٦) لقد دأب الحدّاد أن يكتب أسماء السور خالية من (ال) التعريف، والناقد يكتبها في حالتها المعهودة.

(٧٧) الحدّاد، أ / ٧٦.

(٧٨) سورة الشعراء / ١٩٦ - ١٩٧.

(٧٩) الطباطبائي، الميزان، مج ١٥ / ٣٢٠ - ٣٢١.

(٨٠) من الآية (١٢١) / سورة البقرة.

«فكيف يمكن أن يسمح ذلك النفر الصالح من الراسخين في العلم يؤيدهم محمد... ان يمسّ خصومهم نصّ التوراة عابثين محرفين؟»<sup>(٨١)</sup>.

النقد:

لقد غاب عن ذهنه، أنّ هؤلاء النفر الصالحين قد آمنوا بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبرسالته وشغفوا بها، فانتهت علاقتهم بدينهم القديم وكتابهم السابق، بعد أن أوصلهم علمهم إلى هذا الصراط المستقيم، فكانوا يصدّقون النبيّ عندما يكشف عن كتمان وتبديل واقتراء قومهم.

وحسب الحدّاد هذه الآية:

«فصل الخطاب»<sup>(٨٢)</sup> و «شهادته الصريحة»<sup>(٨٣)</sup>. على عدم التحريف، بينما ذكر لهذه الآية أكثر من تفسير، يتأيد به ما تقدم ذكره، وأن هؤلاء الصالحين عندما كانوا يسمعون القرآن يقولون:

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)<sup>(٨٤)</sup>.

وإذا حصل الاتّباع للرسول، حصل الانصراف عن القديم، لصالح الجديد الذي بشر به الأوّلون، فيندثر ذلك كما اندثرت أمم من قبل، ونقطة العطف الكبرى، أنّ علم هؤلاء وتمسّكهم بالحقّ هو الذي هداهم إلى سبيل النجاة، وصراط الله الأعظم، دين الإسلام الخاتم.

٢ - إسلام أهل الكتاب وشقاقهم والحرب معهم

النموذج الأوّل: دعوى إسلام جميع أهل التوراة وأهل الإنجيل

قال الحدّاد:

«فحسب تعليم القرآن الصريح إنّ أهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل القرآن

كلّهم مسلمون أي موحدون مؤمنون إيماناً واحداً بالله واليوم الآخر»<sup>(٨٥)</sup>.

واستشهد لذلك بقوله تعالى:

«مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا»<sup>(٨٦)</sup>.

(٨١) الحدّاد، أ / ٨٦ .

(٨٢) المصدر السابق / ٨٧ .

(٨٣) المصدر السابق / ٨٧ .

(٨٤) سورة آل عمران / ٥٣ .

(٨٥) الحدّاد، أ / ١٠ .

(٨٦) من الآية (٧٨) / سورة الحج.

فالله سمّى المؤمنين به مسلمين في القرآن وفي الكتب التي سبقته منذ إبراهيم: فالدين واحد.»<sup>(٨٧)</sup>.

النقد:

إنّ التسمية بالمسلمين هنا تخصّ أتباع النبي<sup>(٨٨)</sup> الأمي (صلى الله عليه وآله)، ويشهد لذلك قوله «..وفي هذا..»، أي في القرآن.

كما أن صريح القرآن يدحض زعمه هذا، قال تعالى:

(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ...) <sup>(٨٩)</sup>.

فلو كان أهل الكتاب مسلمين، لم يكن هناك معنى لاشراكهم في الدعوة إلى الإسلام مع الأميين<sup>(٩٠)</sup>، فإنّ إسلامهم واهتدائهم مبنيّ على اتباع الرسول والاهتداء بهديه.

فنسبة أهل التوراة، وأهل الإنجيل إلى الإسلام وتعميم هذه النسبة يفتقر إلى الدليل. إذ لم يتحقق منهم الإسلام بمعنى الخضوع لله وإرادته واتباع أنبيائه. نعم يمكن إثبات الإسلام لطائفة قليلة منهم اتبعوا أنبياءهم، كما هو حال الحواريين الذين اتبعوا عيسى (عليه السلام).

كما أنّ القرآن الكريم نفى أن يكون إبراهيم (عليه السلام) يهودياً أو نصرانياً وأثبت أنّه كان حنيفاً مسلماً، قال تعالى:

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) <sup>(٩١)</sup>.

فهناك افتراق بين اليهوديّة والنصرانية وبين الحنيفيّة المسلمة التي يدين بها إبراهيم (عليه السلام).

(٨٧) الحدّاد، أ / ١١.

(٨٨) إنّ المراد بالمسلمين هنا صفوة خاصّة من اتباع النبيّ الأميّ، بقريّة صدر الآية «هو اجتباكم»، لأنّ الاجتباء مصطلح قرآنيّ يعني الاصطفاء لمقام معين، ولازمه العصمة، وهذا المقام هو مقام الشهادة على الناس، المشار إليه في تنمة الآية، والروايات من طرق أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد هذا المعنى.

(٨٩) الآية (٢٠) وصدر الآية (٢١) / سورة آل عمران.

(٩٠) نعت للعرب الذين لا عهد لهم بكتاب.

(٩١) سور آل عمران / ٦٧.

هذا بالإضافة إلى أنّ سياق الآيات اللاحقة للآية السابقة يشهد على عدم إسلامهم وبعدهم عن الحقّ، ومحاجبتهم فيما ليس لهم به علم، وكفرهم بآيات الله ولبسهم الحقّ بالباطل وكتمانهم الحقّ، وقولهم على الله الكذب..، قال تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) (٩٢).

يتبيّن مما تقدم زيف دعواه وبطلان حكمه بإسلام أهل الكتاب، وتوحدتهم في دين الله، واليهود كفروا بعبسى ودينه، وهم والتّصارى كفروا بمحمد ودينه.

**النموذج الثاني: تولي أهل الكتاب وشقاقهم في ميزان الإيمان**  
في تفسير قوله:

(فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) (٩٣).

قال الحدّاد:

«إنّ شقاق في الدين الواحد؛ لا كفر» (٩٤).

النقد:

الشقاق لغة: «المنازعة والمحاربة...» (٩٥).

والمعنى:

«أي فارقوا الحقّ وتمسكوا بالباطل، فصاروا مخالفيين لله سبحانه، وروي عن الصادق (عليه السلام) يعني في كفر، وقيل في ضلال، عن أبي عبيد...» (٩٦).

وكل هذه الأقوال تخالف ما ذهب إليه من فساد الرأي، وقد تقدم أنّ أهل هذه الأديان يكرّ بعضهم بعضاً، وبديهي إنّها أديان مختلفة في الأصول فضلاً عن الفروع، لكنّه يخالف حتى في البديهيّات، فيدّعي أنّه شقاق في الدين الواحد. كما أنّ القرآن الكريم قد جعل الشقاق صفة للظالمين والكافرين، قال تعالى:

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٩٧).

(٩٢) سورة آل عمران / ٧٠.

(٩٣) من الآية (١٣٧) / سورة البقرة.

(٩٤) الحدّاد أ / ١١٣.

(٩٥) الشيخ الفضل الطبرسي، مجمع البيان ج ١ - ٢، تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي / ٢٧٩، باختصار.

(٩٦) الشيخ الطبرسي، المصدر نفسه، ج ١ - ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠، باختصار.

(٩٧) سورة (ص) / ٢.

### النموذج الثالث: هوية الحرب مع أهل الكتاب

قال الحدّاد:

«أمّا الحرب مع أهل الكتاب فهي قوميّة... ومشروطة بإخضاعهم للدولة (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) <sup>(٩٨)</sup> لا بإرغامهم على اعتناق الإسلام.» <sup>(٩٩)</sup>

وأضاف قائلاً:

«تشرية سورة التوبة محدود في الزمان والمكان، يحصر قتالهم في الجزيرة وفي عصر النبي..» <sup>(١٠٠)</sup>.

النقد:

يرد على مزاعمه عدّة ملاحظات:

أولاً: إنّ الدين الإسلامي لا يخوض صراعاً مع أحد على أسس قوميّة، فقد ساوى بين الناس من الناحية القوميّة والعرقية واللون والدم، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) <sup>(١٠١)</sup>.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاكُمْ وَاحِدٌ، وَدِينَكُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيِّكُمْ وَاحِدٌ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى» <sup>(١٠٢)</sup>.

ثانياً: إنّ الإسلام لا يرغب الآخرين على اعتناقه، لأنّ الإيمان لا يقبل الإكراه قال تعالى:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) <sup>(١٠٣)</sup>.

(٩٨) من الآية (٢٩) / سورة التوبة.

(٩٩) الحدّاد، أ / ١٣٨ و ١٣٩.

(١٠٠) الحدّاد، أ / ١٣٨ و ١٣٩.

(١٠١) سورة الحجرات / ١٣.

(١٠٢) علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / ٩٣،

ج ٥٦٥٥.



وهذا ما يبطل زعمه أن حربه على المشركين حتى يُسلموا، وإنما حربه عليهم لأجل:

«رفع الموانع التي تقف في طريق الإيمان، واقتلاع جذور الشرك»<sup>(١٠٤)</sup>.  
وباعتبار أن هؤلاء يقاتلون المسلمين، فقتالهم هو دفاع عن النفس، قال تعالى:  
(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)<sup>(١٠٥)</sup>.

ثالثاً: إن ما زعمه من كون تشريع سورة التوبة محدود، هو ادعاء واه ومغرض ولم يسبقه إليه أحد، فإن معاني الجهاد والهجرة، والإيمان والتوبة والتقوى وغيرها ليس مما اختصت به هذه السورة المباركة، بل هي مؤكدة في سور كثيرة، وهي لا تعرف التحديد بالزمان والمكان، شأنها شأن كل السور القرآنية.

### ٣ - الرسول ودعوته في ميزان أهل الكتاب النموذج الأول: اهتداء الرسول بما في الصحف الأولى قال الحداد:

«ويطلبون من النبي آية على صحة رسالته وصدق نبوته، فيجيبهم: آيته إنه يبين لهم ما في الصحف الأولى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه أو لم تأت بهم بيّنة ما في الصحف الأولى)<sup>(١٠٦)</sup>، فيكفيه برهاناً إنه بلغهم تعليم الكتاب. ويضيف أنه اهتدى إلى الصراط السوي بإيمانه بما في الصحف الأولى: (قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)<sup>(١٠٧)</sup>»  
<sup>(١٠٨)</sup>.

#### النقد:

إن الحداد كعادته يحاول أن يلبس على أتباع دينه من خلال تأويلاته الفاسدة وتصييده لمعاني غريبة عن مقاصد الآيات الكريمة، وإلا فإن المسلم في حصانة من مثل هذه الأقوال المتهافئة.

(١٠٣) من الآية (٢٥٦) / سورة البقرة.

(١٠٤) انظر: الشهيد آية الله مرتضى المطهرّي، الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن، ترجمة: ناظم شيرواني، منظمة الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ. ق. / ٣٤، بتصرف واختصار.

(١٠٥) من الآية (٣٦) / سورة التوبة.

(١٠٦) سورة طه / ١٣٣.

(١٠٧) سورة طه / ١٣٥.

(١٠٨) الحداد، أ / ١٧، ونظيره في صفحة ٢٦.

ومما جاء في تفسير الآيتين في الميزان:

«إنّ الآية الأولى تحكي قول مشركي مكة، أرادوا التعريض بالقرآن بأنه ليس بأية دالة على النبوة فيطلبون غيرها، والبيئة الشاهد المبين أو البين، فيكون معنى الآية: أو لم تأتهم بيّنه وشاهد يشهد على ما في الصحف الأولى - وهي الكتب السابقة - من حقائق المعارف والشرايع ويبينها وهو القرآن وقد أتى به من لا عهد له بمعلم يعلمه.

وعلى المعنى الآخر للبيئة وهو البيان، يكون المعنى : أو لم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى من أخبار الأمم الماضية الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات المعجزة وكان إتيانها سبباً لهلاكهم لمّا لم يؤمنوا بها. فلم لا ينتهون عن اقتراح آية بعد القرآن؟ ولكل من المعنيين نظير في القرآن.

أمّا الآية الثانية: ففيها تهديد لهم، أي ننتظر وأنتم تنتظرون، فستعلمون من هم أصحاب الطريق المستقيم الذين يصلون خير عاقبة»<sup>(١٠٩)</sup>.

أمّا الفخر الرازي فجعل الآية حكاية لقول أهل الكتاب، وذكر فيها وجوهاً: «أحدها: إنّ الرسول لم يشتغل بالدراسة والتعلم قط، ومع ذلك جاء بما وافق الكتب السماوية السابقة، فيكون ذلك أخباراً عن الغيب فهو معجز. وثانيها: إنّ بيّنة ما في الصحف الأولى هي ما فيها من البشارة بمحمد وبعثته. وثالثها: أيّ من أنباء الأمم التي أهلكتهم لمّا سألوا الآيات وكفروا بها، كيف عاجلناهم بالعقوبة، فليعتبروا بهم»<sup>(١١٠)</sup>. وقد جاءت البيّنة بمعنى رسول الله كما في سورة البيّنة، التي جمعت بين الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في حكم واحد، من مجيئه وبعثته، وغير بعيد أن يكون هو البيّنة التي في الصحف الأولى والله العالم، قال تعالى:

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ \* رَسُولٌ مِّنَ

اللَّهِ يَأْتِلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً)<sup>(١١١)</sup>.

فأين هذه المعاني مما ذكره من وحي أو هامه؟

### النموذج الثاني: الذي شهد للرسول

(١٠٩) انظر: العلامة الطباطبائي، الميزان، ج ١٤ / ٢٤٠ - ٢٤١ بتصرّف واختصار.

(١١٠) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٨، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م /

١١٦، بتصرّف واختصار.

(١١١) سورة البيّنة / ١ - ٢.

في تفسير قوله تعالى:

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ...) (١١٢).

قال الحدّاد:

«... فَإِنَّهُ يَشْهَدُ لَهُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ - وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ مُؤْمِنِي  
الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ - فَإِنَّهُمْ (يُؤْمِنُونَ بِهِ) وَلَوْ أَنْكَرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ تَحَزَّبَ  
مَعَهُمْ...» (١١٣).

النقد:

في تفسير الآية أقوال مختلفة، وأقواها وأصوبها، إنّ الذي على بَيِّنَةٍ من ربه هو  
النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله)، والشاهد الذي يتلوه أي يتبعه وهو منه هو عليّ بن أبي  
طالب (عليه السلام) كما في روايات عن الفريقين، فما ذكره واه وبعيد عن مقصود الآية،  
وهو حجة عليه وليس له، إذ إنّ أولئك آمنوا به وشهدوا له، وهو يكفر به وبحقانيّة  
رسالته، ويجعل منه متطوِّعاً وتابعاً للكتاب السابق وأهله، وتنتمى الآية تقول:  
(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) (١١٤).

النموذج الثالث: الانقلاب في أسلوب الدعوة

قال الحدّاد:

«كانت دعوة دينيّة اجتماعية... ثم كانت الهجرة إلى المدينة، ذلك  
الانقلاب الشامل الكامل، انقلاب في الدعوة، فقد دخلت السياسة الدين،  
انقلاب في الداعية الذي أصبح رجل دولة وحروب... انقلاب في  
الأسلوب، كان (بالحكمة والموعظة الحسنة) فصار بالقتال والجهاد...»  
(١١٥).

النقد:

بهذه العبارات عبّر عن جهله بحقيقة الإسلام، الدين الذي جاء للحياة كلّها،  
لأولائها وأخراها، فكما أنّ وظيفة النبيّ (صلى الله عليه وآله) في جانب منها هي تبليغ

(١١٢) من الآية (١٧) / سورة هود.

(١١٣) الحدّاد، أ / ٢٤ - ٢٥.

(١١٤) من الآية (١٧) / سورة هود.

(١١٥) الحدّاد، أ / ٢٨ - ٣٠، باختصار.

الرسالة، ففي جانبها الآخر تحكيم شرع الله في المجتمع، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتدبير أمورهم المختلفة.

ومن الطبيعي حين واجهت الرسالة في سنواتها الأولى الحصار والاضطهاد والرفض في مجتمعاتها، باستثناء قلة من الأتباع الذين نالهم الجور والاستضعاف، فلم تستطع شقّ طريقها مع شدة عناد واستكبار المشركين من العرب، ومن ولاهم من الأحزاب، فاقصر النبيّ على تبليغ الرسالة سرّاً، ثم جهرّاً، ومن ثمّ لاقت قبولا خارج المجتمع المكي، فكانت هجرة الرسول، والانفتاح على أولئك الأنصار، وبناء المجتمع المنفتح على الرسالة، فتوفرت مقومات بناء الدولة، فظهرت للوجود، وأدّى الدين دوره، والرسالة وظيفتها، في الهداية والسياسة والاجتماع والاقتصاد وجميع مناحي الحياة.

فالسباسب من صميم الدين، بيد أنّه أنطلق من المفاهيم الكنسيّة التي عزلت الدين عن الحياة، وأبعدته عن وظيفته الحقيقية في الإصلاح وإقامة العدل وردّ العدوان ورفض البغي وما إلى ذلك.

فإذا كان هناك ثمة انقلاب فهو في ظروف الرسالة، ومن الطبيعي عندما تتغير الموضوعات والظروف، فإنّ الأحكام تتبدل بما يناسبها، ومقتضى الحكمة أنّ لكل مقام مقال، مع الحفاظ على ثوابت الرسالة التي تتعالى على الظروف المختلفة؛ نظير ما تعبر عنه الآيات الكريمة :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (١١٦).

(وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١١٧).

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (١١٨).

فالقتال والجهاد في ظرفه ومحله المناسب هو من الحكمة أيضاً، وهو مشروع لمواجهة البغاة والذين يكيّدون للرسالة، ويمكرون بالمؤمنين مكر السوء.

ولم يأمل النبيّ الأعظم من أهل الكتاب في هجرته خيراً أو نصرة، بعد أن كذبوا برسائله وتنكروا لنبوته، وهم يعلمون أنّه الحقّ من ربّهم، كما أنّهم لم يكونوا أصحاب قتال، بل طلاب دنيا، وقد أخبر القرآن عن قولهم لنبيّهم:

(فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (١١٩).

(١١٦) من الآية (٩٠) / سورة النحل.

(١١٧) من الآية (١٩٠) / سورة البقرة.

(١١٨) من الآية (١٢٥) / سورة النحل.

ووصف موقفهم منه، بقوله تعالى:

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (١٢٠).

والتاريخ يكذب الحداد بأن:

«اليهود كانوا أنصاراً للدعوة، فشعروا أن النبي يريد أن يستعلي عليهم فرفضوا اتّباعه» (١٢١).

فهم لم يكونوا أنصاراً للدعوة يوماً ما، بل كانوا قبل البعثة يستفتحون على المشركين ببعثته فلما بعث من غير قومهم استكبروا وكفروا به. فما ذكره ما هو إلا أوهام سطرها من مخيلته، ليعضد نظرية آمن بها، فيفترض التناصر ثم الافتراق والاستقلال، والحقيقة على خلاف هذا التناصر الذي لا أساس له.

#### ٤ - قيمة الكتب السماوية

النموذج الأول: الكتاب المقدس والبراءة من النار

في تفسير قوله تعالى:

(أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) (١٢٢).

قال الحداد:

«أليس فيه دليل على أنّ من آمن بإيمان الكتاب المقدس معه براءة من

العذاب؟» (١٢٣).

ثم أضاف بعد ذلك قائلاً:

«وما وظيفة القرآن سوى تذكير العرب بما جاء في الكتاب المقدس»

(١٢٤).

مستشهداً بقوله تعالى:

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) (١٢٥).

(١١٩) من الآية (٢٤) / سورة المائدة.

(١٢٠) من الآية (١٢٠) / سورة البقرة.

(١٢١) انظر، الحداد، أ / ٣٠، بتصرف واختصار.

(١٢٢) سورة القمر / ٤٣.

(١٢٣) الحداد، أ / ١٧.

(١٢٤) الحداد، أ / ١٧.

(١٢٥) سورة القمر / ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

النقد:

يلاحظ على قوله ما يلي:

أولاً: إنّ عقيدة القرآن والمسلمين في (الكتاب المقدس) تختلف عن عقيدة النصارى به، فيعتقد المسلمون أنّ التوراة والإنجيل المنزلين من الله سبحانه وتعالى، قد طرأ عليهما التبديل والتحريف، وبالتالي هذا الكتاب الذي دون شطر منه بعد موسى (عليه السلام)، وشطره الآخر بعد عيسى (عليه السلام) لا يعتبر كتاب هداية ونجاة من العذاب.

ثانياً: لو سلّمنا جدلاً بعدم التبديل والتحريف، فعقيدة القرآن أنّ شريعتي التوراة والإنجيل تمّ نسخهما به، فيلزم أتباعهما التمسك بالإسلام واتّباع نبيّه، وأنّه لا نجاة لهم من دونه.

ثالثاً: إنّ عقيدة القرآن تقوم على ركيزتي الإيمان والعمل الصالح، وهما سبيل النجاة من عذاب النار، قال تعالى:

(وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ) (١٢٦).

وبهذا فهو يتقاطع مع العقائد المسيحية ويندد بها، من تأليه المسيح وجعله ابناً لله سبحانه، وفادياً ومكفراً لذنوب البشر، وغيرها مما سيأتي.

ومما تقدم يتّضح رداءة قوله الآخر «وما وظيفة القرآن سوى...»، كما أنّ مقتضى التذكير يفترض أن العرب لهم عهد بكتاب فيذكرهم به، وهم ليسوا كذلك، ولذا سمّاهم القرآن بالأميين، قال تعالى:

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) (١٢٧).

ثمّ إنّّه لا مناسبة هنا لكي يحشر (كتابه المقدس)، إذ أنّ الآية الكريمة تريد أن تبين بأنّ القرآن:

«ألقي على نحو يسهل فهم مقاصده للعامة والخاصة، وكل بحسبه من الفهم والإدراك أو أنّ حقائقه العالية ومقاصده المرتفعة عن أفق الأفهام العادية نزلت إلى مرحلة التكليم العربي لكي تناله عامة الأفهام، كما يستفاد من قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لِّعَلَّيْ حَكِيمٍ) (١٢٨) والمراد بالذكر: ذكره تعالى بأسمائه أو صفاته أو أفعاله، فهل من متذكّر يتذكّر به فيؤمن بالله ويدين بما

(١٢٦) سورة العصر / ١ - ٣.

(١٢٧) من الآية (٢) / سورة الجمعة.

(١٢٨) سورة الزخرف / ٣ و ٤.

يدعو إليه من الدين الحق؟ فالآية دعوة عامة إلى التذكّر بالقرآن بعد تسجيل صدق الإنذار وشدة العذاب الذي أنذر به»<sup>(١٢٩)</sup>.

#### النموذج الثاني: قيمة الكتب السماوية

في بحث تحت عنوان «قيمة الكتاب في القرآن»، افتتحه بالآية الكريمة:

(...لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ...) <sup>(١٣٠)</sup>.

قال الحدّاد:

«إنّه يعتبر للكتاب كله وللقرآن قيمة واحدة <sup>(١٣١)</sup> ودرجة واحدة ومنزلة واحدة. وهذا الوعد وهذا البيع وهذا الفوز العظيم واحد في التوراة والإنجيل والقرآن؛ فللثلاثة إذن على حسب شهادة القرآن الأخيرة، منزلة واحدة ودرجة واحدة وقيمة واحدة...» <sup>(١٣٢)</sup>.

#### النقد:

إستنباطات تعبّر عن جريه وراء اعتبار مفقود، لأنّ الآية المباركة تتحدث عن سنن ثابتة وقيم عليا، تحكم المسار البشري من مبدئه إلى منتهاه، سنّة الوعد الإلهي الحقّ، لأهل الإيمان والتضحية والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وعد بالجنة والفوز العظيم، وهذا لا ربط له بمنزلة الكتب عند الله تعالى، ومع أنّ أصلها واحد، ولكن - عزّ اسمه - قد جعل للقرآن الهيمنة على الكتب كلّها، قال تعالى:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) <sup>(١٣٣)</sup>.

وله صفة الخاتميّة، وميزته الأساسية على غيره من الكتب الإلهيّة، إنّه معجز في نفسه، تحدّى باعجازه الأولين والآخرين على الإتيان بسورة من مثله، قال تعالى:

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) <sup>(١٣٤)</sup>.

(١٢٩) انظر: السيّد الطباطبائي. الميزان مج ١٩ / ٦٩ - ٧٠، بتصرّف واختصار.

(١٣٠) من الآية (١١١) / سورة التوبة.

(١٣١) تكرر منه ذلك في الصفحات، ٣٠٧، ١٣٩، ٩٨، ومنه سمات منهجه التكرار.

(١٣٢) الحدّاد، أ / ٩١.

(١٣٣) من الآية (٤٨) / سورة المائدة.

(١٣٤) يونس / ٣٨.

وهذه الميزة الفريدة تصاحبه على مرّ الدهور، وتثبت أحقيّته، وكلّما مرت العصور ازداد تألقاً واشراقاً، وتكشفت بعض أسرارهِ لذوي البصائر والقلوب، ودوّنت حول إعجازه الكتب والأسفار قديماً وحديثاً، وهذا غير خاف على آحاد الناس، فضلاً عن الباحثين والمحققين.

فقوله إنّها على درجة واحدة ومنزلة واحدة لا علاقة له بمنطوق الآية، أو مفهومها.

وغيره من ذلك، ومن قوله:

«إله واحد ووحى واحد وَغَايَة واحدة فللكتاب والقرآن قيمة واحدة»<sup>(١٣٥)</sup>، إثبات المثلية ووحدة المنزلة للكتب السماوية.

فبناءً على نظريته هذه، يتساوى البشر جميعاً في المنزلة، لأنّ الخالق واحد، والمخلوقين من نوع واحد، والغاية واحدة!!، وكرر هذه الدعوى بعنوانين أخرى<sup>(١٣٦)</sup>.

#### ٥ - الوجاهة في الدنيا والآخرة

النموذج: الوجاهة والزعامة في النبوة

في تفسير قوله تعالى:

(وَجِئْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)<sup>(١٣٧)</sup>.

قال الحدّاد:

«فوصفه بالوجاهة يعني زعامة في النبوة.. هو (وجه) الأنبياء والمرسلين المقدّم في الدنيا عليهم والمقرّب في الآخرة من عرش الجلالة (فقد ارتفع وجلس عن يمين الله) (خاتمة إنجيل مرقس)»<sup>(١٣٨)</sup>.

النقد:

إنّ الوجاهة بمعنى الزعامة في النبوة فهذه من بنات أفكاره، وليس من مفاد الآية المباركة، فالوجاهة تعني كونه ذا جاه ومنزلة وقدر وشرف، وقد وصف موسى(عليه السلام)بها في الذكر الحكيم أيضاً، قال تعالى:

(١٣٥) الحدّاد، أ / ٩٢.

(١٣٦) انظر: الحدّاد، أ / ٩٢.

(١٣٧) من الآية (٤٥) / سورة آل عمران.

(١٣٨) الحدّاد، أ / ٣٨٢.



(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) (١٣٩).

وذكر الفخر الرازي في تفسيره إله:

«وجيه في الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه، أو بسبب النبوة، أو كونه مبرءً من العيوب، وفي الآخرة بسبب علو المنزلة وعلو الدرجة» (١٤٠).

وأما ما نقله عن إنجيل مرقس، فهو مما لا اعتبار له، لأنه غير إنجيل عيسى (عليه السلام). وما زعمه من الجلوس عن يمين الله، فهذا من خيال صاحب الإنجيل، فالعقل السليم يحكم باستحالة الجهة على الله تبارك وتعالى، والقرب منه هو قرب معنوي لا جسماني.

والظاهر من كلامه أنه يتحدث عن عيسى بصفته البشرية الواقعية، وكأنه قد غفل عن اعتقاده بالوهية المسيح التي لا يحتاج معها إلى الزعامة، من حيث كونه باسطاً سلطانه على المخلوقات.

(١٣٩) سورة الأحزاب / ٦٩.

(١٤٠) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٣ / ٢٢٣، بتصرف واختصار.

المبحث الثاني  
الميل واتّباع الهوى

\* الهوى آفة من آفات المعرفة

\* سلطان الهوى على تأليفات الحدّاد

\* نماذج من انسياقه وراء الهوى في

التفسير:

١ - الدين بين الوحدة والتفضيل:

النموذج الأول: وحدة الدين المزعومة بين النبي وأصحاب الأخدود

النموذج الثاني: طلب أهل الكتاب البيّنة على أفضلية الدين

النموذج الثالث: لو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم

٢ - الكتب السماوية وشرائعها:

النموذج الأول: تقدم الإسلام على

القرآن

النموذج الثاني: خلاصة الكتب السماوية

النموذج الثالث: سبق الإنجيل للقرآن في تعليم التوحيد

النموذج الرابع: لا تجادلوا أهل الكتاب لأن كتابهم نزل إليكم

النموذج الخامس: الذكر الحكيم وكتابه المقدس

٣ - من خصائص المسيح (عليه السلام):

النموذج الأول: تأييده بروح القدس

النموذج الثاني: تعلم المسيح المباشر

النموذج الثالث: المسيح هو البعض



## الميل واتّباع الهوى

### الهوى آفة من آفات المعرفة

يعد الهوى آفة من آفات المعرفة وموانعها الأصلية، فهو يعرّض صفو الذهن ويصدىء مرآة الفكر، فيحجب العقل والقلب عن الوصول إلى المعارف الحقّة؛ قال تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (١٤١).

فيصيب مرآة العقل بالصدأ، ويجعل على القلب غشاوة، فلم يعد قابلاً للجلاء، فتراه يعيش مع القرآن عمراً، ولا يزداد إلا ضلّالاً وبعداً، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيَصِمُّ..» (١٤٢).

وجاء في خطبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

«من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمّض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمّية، قد خرقت الشهوات عقله وأمّاتت الدنيا قلبه...» (١٤٣).

فالعقل مرآة تعكس الحقائق:

«وكلّما ازدادت المرآة صفاء وشفافية كانت أكثر بياناً للواقع، وكلّما ازداد صدؤها كان التجلّي فيها أقل، حتى تصل إلى أن تفقد قدرتها على بيان الصور بالكلية. والذي يكدّر مرآة العقل ويستوجب صدأها هو غبار الهوى والهوس، وإذا لم ينجل عنها يزداد حتى يسلب الإنسان إدراكاته العقلية بالكلية، وقد يتمثل الهوس في صورة عشق ومحبة، وقد يتمثل في

(١٤١) سورة الجاثية / ٢٣.

(١٤٢) محمّد الري شهري، ميزان الحكمة ج ١، ج ٣٠٦٦ ط ١، تحقيق دار الحديث، قم المقدسة، دار الحديث،

١٤١٦ هـ ق. / ٤٩٨.

(١٤٣) نهج البلاغة، من الخطبة (١٠٩).

صورة حقد ونفور، ومهما يكن فهو مانع لمرآة العقل من أن تكون مظهرًا للواقع»<sup>(١٤٤)</sup>.

#### سلطان الهوى على تأليفات الحدّاد

من يقرأ كتب الحدّاد يلحظ مدى سلطان الهوى على تأليفاته، وقد سجّل الأستاذ محمد دروزة عليه هذه الملاحظة في أكثر من موضع من كتابه<sup>(١٤٥)</sup>، حيث يقول: «ويسوق الخوري على كل ما يزعمه آيات من القرآن، ولكنه يؤولها تأويلاً متفقاً مع هواه مهما كان في تأويله تعسف وزيف وتمحل وتهافت وتناقض»<sup>(١٤٦)</sup>.

#### نماذج من إنسياقه وراء الهوى في التفسير

##### ١ - الدين بين الوحدة والتفضيل

النموذج الأول: وحدة الدين المزعومة بين النبي وأصحاب الأخدود

ورد ذكر أصحاب الأخدود في سورة البروج، قال تعالى:

(.. قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ \* النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ \* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)<sup>(١٤٧)</sup>.

قال الحدّاد في صدد هذه الآيات:

«قد فهم العلماء منذ سيرة ابن هشام أنّ المقصود بأصحاب الأخدود نصارى نجران ألا يدلّ هذا الاستشهاد بهم على وحدة الدين والإيمان بينهم وبين النبي العربي؟»<sup>(١٤٨)</sup>.

النقد:

(١٤٤) محمد الري شهري، مباني المعرفة، ترجمة د. صلاح الصاوي، إيران، مؤسسة الهدى للنشر، ١٩٩١ م/ ٢٥٨، باختصار.

(١٤٥) انظر، محمد عزّة دروزة، القرآن والمبشرون، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م/ ٩٢ و٩٤.

(١٤٦) محمد دروزة، المصدر نفسه / ٩٢ - ٩٣.

(١٤٧) سورة البروج / ٤ - ٦.

(١٤٨) الحدّاد، أ / ١٦، ويدخل هذا ضمن منهجه في نسبة تابعيّة النبي الأعظم لأهل الكتاب.

يلاحظ القاريء الكريم، ما يثيره هذا الكلام من سخرية!، وما فيه من ضعف وتكلف، والذي يدفعه أن يأخذ نتائج من غير مقدماتها!، ويعرضها وكأنها الأدلة والبراهين.

من المعلوم أنّ القصة القرآنية تؤكد على أخذ العبرة من الماضين، قال تعالى:  
(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (١٤٩).

وذلك من أجل الاستقامة على خط المبدأ الإلهي في الإيمان والاخلاص والصبر والتضحية في سبيل الحقّ ونصرته. ومن أجل التمسك بهذه المعاني الرفيعة، تعرض الآية أمثلة شاخصة تجسدت فيها هذه القيم، وأخرى على نقيض منها، مع بيان عاقبة أصحابها.

من هنا أشاد القرآن بإيمان هؤلاء، وثباتهم على دينهم، بالرغم من شدّة المحنة، وهول الموقف، في قبال أناس آخرين، عندما يوضعون على المحك يكشف زيفهم ونفاقهم، قال تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) (١٥٠).  
(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) (١٥١).

وما قصة أصحاب الأخدود، والتي تعددت فيها الروايات، إلا واحدة من عشرات القصص التي أتى على ذكرها القرآن الكريم، إذ جاء على ذكر الأنبياء وأقوامهم بدءاً من آدم حتى النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله)، فحقّ للقاريء أن يتساءل:  
لماذا يتوحد النبيّ في الدين مع نصارى نجران دون سواهم؟! أليس في هذه الأحكام إلغاء للعقل وانبساط لسلطان الهوى؟!!

إنّ الحدّاد بمثل هذه الادعاءات يريد أن يثبت نصرانيّة النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)، كما سوّد بأمثالها مئات الصفحات ليخرج كتاباً أسماه «القرآن دعوة نصرانية»!.

**النموذج الثاني: طلب أهل الكتاب البيّنة على أفضلية الدين**  
**قال الحدّاد:**

(١٤٩) من الآية (١١١) / سورة يوسف.

(١٥٠) من الآية (١٠) / سورة العنكبوت.

(١٥١) من الآية (١١) / سورة الحج.

«فطلبوا منه البيّنة على هذه الأفضلية<sup>(١٥٢)</sup> (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) <sup>(١٥٣)</sup> والبيّنة التي يطلبون (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) <sup>(١٥٤)</sup> أَيَّ نَبِيِّ يَتْلُو الْكِتَابَ فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِمُوجِبِهِ فَيَجِيبُ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صحف إبراهيم وموسى: (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ) <sup>(١٥٥)</sup> المطلوبة» <sup>(١٥٦)</sup>.

#### النقد:

لا نجازف إذا قلنا إنّ الحدّاد يأتي بالمعاني من مخيلته ليستبق بها النصّ الذي يريد تفسيره ويحملها عليه، فهو يفترض أنّ هناك نزاعاً حول تحديد الدين الأفضل بين النبي وبين أهل الكتاب!، بينما الآية تفصح عن البيّنة، وأتّه هو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) الذي يتلو الصحف المطهّرة، وقد أقصى المشركين الذين قرنتهم الآية مع أهل الكتاب ليبرز التفاضل المزعوم.

ثم إنّ زجّ صحف إبراهيم وموسى والمقام مقام حديث عن النبي الأكرم وصحفه، وقد اطلقت الصحف على أجزاء الكتب السماوية ومنها القرآن، كما في قوله تعالى: (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ) <sup>(١٥٧)</sup>.

ويراد بالبيّنة التي تفرقوا عند مجيئها:

«البيان النبوي الذي تبين لهم في كتابهم أو أوضحه لهم أنبيائهم، قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا... فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ...)» <sup>(١٥٨)</sup>.

وأغرض المؤلف عينيه حينما انتهى إلى قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) <sup>(١٥٩)</sup>.

(١٥٢) يقصد الأفضلية في الدين.

(١٥٣) سورة البيّنة / ١.

(١٥٤) سورة البيّنة / ٢.

(١٥٥) سورة البيّنة / ٤.

(١٥٦) الحدّاد، أ / ٣٥.

(١٥٧) سورة عبس / ١٣ - ١٤.

(١٥٨) انظر: الطباطبائي، الميزان ج ٢٠ / ٣٣٧ - ٣٣٨. والآيات التي استشهد بها هي (٦٣ - ٦٥) من سورة الزخرف.

(١٥٩) سورة البيّنة / ٦.



فلم يُرق له التعرض لهذه الآية المباركة وهي تقع في سياق هذه الآيات التي ذكرها، وتتلاحم معها في المعنى إذ صدّه هواه فأعرض عنها، فهي تبين أنّ الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد(صلى الله عليه وآله) ورسالته قد انتهى بهم كفرهم هذا إلى الدرك الأسفل من النار، وجعلهم شرّ البرية.

والأدهى من ذلك أنه جعل:

«النصارى الذين يودّون المسلمين هم خير البرية»<sup>(١٦٠)</sup>.

واستشهد لذلك بقوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)<sup>(١٦١)</sup>.

فاذا كانت مودة المسلمين هي الملاك فكيف يكونون خيراً منهم؟ وإذا كان هناك ملاك آخر لهذه الخيرية فلم أغفل عن ذكره!؟

وصور النصارى كلّهم أهل مودة للنبي وقومه، والقرآن يكذب دعواه، قال تعالى:

(وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ...)

<sup>(١٦٢)</sup>.

فهذا التأويل من وحي أوهامه، إذ بعد أن أشار القرآن الكريم إلى تفرّق الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينة، والبينة هي رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله) كما تقدم، أشار «إلى كفرهم بالبينة التي كانت توجبها سنة الهداية الإلهية، وما كانت تدعو إليه من الدين القيم، ثم أخذ في الإنذار والتبشير بوعيد الكفار ووعد المؤمنين الذين آمنوا بالبينة واتبعوها»<sup>(١٦٣)</sup>.

فالنصارى داخلون في أهل الكتاب، إلا من آمن منهم بالبينة واتبعها.

و«خير البرية» في جملة من الروايات هم:

(١٦٠) الحدّاد، أ / ١٢٥.

(١٦١) سورة البينة / ٧.

(١٦٢) من الآية (١٢٠) / سورة البقرة.

(١٦٣) انظر السيّد الطباطبائي، الميزان، ج ٢٠ / ٣٤٠، بتصرف.